قال سبحانه وتعالى:
«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»
يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ :
«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
حديث صحيح

تنبيه هام : إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا ـ المدير المسؤول: إبراهيم الطالب ـ رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 ـ العدد 28 ـ 20 شوال 1428 هـ الموافق 01 نونبر . 2007 م ـ الثمن 5 دراهم

توزيع الأدوار بين الكلمة والرصاص لبناء أمن أوربا وأمريكا و"إسرائيل"

الصفحة: 6



مهرجان طنجة التاسع وترسيخ ثقافة الجنس وحرية الاعتقاد

الصفحة: 5

المغاربة لا دينيون في برامج الدولة

الصفحة: 9

الحوار مع الآخر خدعة عصرية

الصفحة:15

ما لم يقله "ساركوزي" أثناء زيارته للمغرب

الصفحة: 17

عندما يصبح إعلامنا أداة تدمير ومعول هدم

الصفحة: 16

فتور وانتكاس بعد موسم الطاعات والقربات.. ما السّر في ذلك؟!

الصفحة: 7

الرجـلـة أو "الجنــدر"

(من مظاهر غلو الحركة النسوية المتطرفة)

الصفحة: 13

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

كلمة العدد

هل الغرب عدو أم صديق؟

صورة الإنسان الأوربي أو الغربي بصفة عامة في مخيلة المسلم يمثلها ذلك المخلوق الرقيق ذو البشرة البيضاء والشعر الأشقر، المالك لناصية العلم والتقدم، المبشر بالديمقراطية والمحبة والتعايش، هكذا رُسمت صورته في مخيلة الشعوب الإسلامية، حتى صرنا نسمع ونرى على الشاشة دمار الحرب التي يشعلها الغربي في بلاد الإسلام ولا تؤثر فينا لأننا سرعان ما نرى منظمات الصليب الأحمر والمنظمات الخيرية تساعد المصابين وتسعف الجرحى وتجمع أشلاء أطفالنا من طرقاتنا، فتعلو دعاوى التعايش والمحبة أصوات البنادق والمدافع، فتنطفئ جمرة الغيظ ويتيه العقل ويحار: من يقتل؟ ومن يداوي؟ من هو العدو؟ ومن هو الصديق؟

إن العقل الأوربي الذي عانى قرونا متتالية من الهزائم أمام الجيوش الإسلامية يعلم يقينا كم كلفته حروبه من أجل إسقاط الخلافة الإسلامية، كما يعلم قادته وعقوله المدبرة خطورة أن يعود الحكم بالشريعة الإسلامية في البلدان المسلمة.

لذا تراه يبذل الجهد الجهيد لمؤازرة كل ما من شأنه أن يحول دون انتشار الإسلام الواعي بنفسه العارف لقدره ووظيفته، فهو عندما يشجع الخرافة والبدع والتيارات الماجنة والأفلام ويساعد المنظمات والجمعيات العلمانية التي أصبحت تنبت في بلاد الإسلام كالفطريات وتتناسل كالفئران، يقوم بذلك إيمانا منه بأهمية الأفكار واقتناعا منه بكون المعارك العسكرية تحدد نتائجها سلفا المعارك الفكرية.

فتراه يُسخِّر في سبيل هيمنته على البلدان الإسلامية مراكز دراساته ومنظماته وجامعاته لإنتاج وصناعة الفكر قبل شركات إنتاج وصناعة القتل، فتقارير "راند"، ونظريات صدام الحضارات والنبوءات المتعلقة بالسياسة، وراديو "سوا" ومساعداته المالية للقنوات التي تروج ثقافته، وحرصه على تعديل البرامج والمقررات التعليمية في البلدان الإسلامية، وفتح قنوات مع النخبة في البلدان الإسلامية وتنظيم لقاءات في السفارات بين الطلاب ومن يدافع عن قيمه ويروج لوجهه المزركش بصباغات التعايش والتسامح الوردية، كل ذلك -وغيره كثير- هو من أسلحة الحرب الفكرية.

أما الوجه الحقيقي للغرب والذي ينسجم مع سلوكه الحربي العدائي كما هو على أرض الواقع، فيتمظهر من حين لآخر في صور عداء سافر:

- فمن ذلك قيام مائتي جامعة أمريكية بتنظيم أسبوع سمته: (أسبوع الوعي بالفاشية الإسلامية) من 22 وإلى يوم 26 أكتوبر الماضي. والذي يقف وراء تنظيم أسبوع الكراهية والتحريض ضد الإسلام والمسلمين في الجامعات الأمريكية هو واحد من مثقفي أمريكا "ديفيد هورويتز"، مؤلف كتاب (فن الصراع السياسي).

مما دفع بمنظمة الإيسيسكو إلى التنديد بهذا العمل، موضحة أن هذه الحملة العدائية التي نظمتها جامعات أمريكية، والتي من المفترض فيها أن تكون معاقل للعلم والمعرفة، تعبّر عن تنامي تيار "الإرهاب الفكري" والثقافي في مجتمع النخبة والأوساط الأكاديمية الأمريكية، وتترجم تأثير تغلغل أفكار المحافظين الجدد التي لا تخدم مصالح الشعب الأمريكي.

- ومن ذلك أيضا، إعلان "الفاتيكان" رفضه لدعوة الحوار التي وجهها عدد من الشخصيات الإسلامية، وذلك بسبب إيمان المسلمين بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل، حيث صرح الكاردينال "جان لويس توران" المسؤول المختص بشؤون الإسلام في الفاتيكان: "من الصعب إجراء حوار ديني حقيقي مع المسلمين لأنهم يعتبرون أن القرآن هو الكلام النصي لله ولا يناقشوه بعمق".

وأضاف "توران" في مقابلة مع صحيفة "لاكروا" الكاثوليكية الفرنسية اليومية قوله: "إنه سيتعين على المسيحيين مناقشة القيود المفروضة على بناء الكنائس في العالم الإسلامي"، على حد زعمه، في الحوار الذي نادى به 138 شخصية مسلمة.

- ومن ذلك رفض فرنسا مجرد الاعتذار عن تقتيل أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين في الجزائر.

- ومن ذلك إعلان الرئيس الأمريكي عقب أحداث 11 شتنبر أنه سيقود حربا صليبية مقدسة ضد المسلمين.

- ومن ذلك شن الحروب على الدول الإسلامية بدون وجه حق كما في حالة العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين وما سبق ذلك من احتلال عسكري لكل البلاد الإسلامية خلال القرنين الثامن عشر والعشرين .

كل هذه الحقائق تثبت للمتأمل أن الغرب لم يدع سلاحه منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، إلا أن الفرق بين حربه بالأمس وحربه اليوم، أنه كان بالأمس يقود الحروب الصليبية يحمس فيها الرهبان والقساوسة الجنود للفتك بالمسلمين، واليوم يشعل الحروب وينشر الدمار ويقوم فينا زعماؤه خطباء ينشدون السلام ويوهمون المواطنين الذين دكت بيوتهم أن أبناءهم ونساءهم مزقوا وتناثروا في أزقة فلسطين والعراق وأفغانستان من أجل السلام والديمقراطية، هكذا يقول زعماء الغرب، وهكذا يبلغنا عنه علمانيونا.

إن الحقيقة أنصع من أن تواريها كلمات تسندها المدفعية والصواريخ والبوارج الحربية، فعبثا يحاول البعض إخفاء حمرة الدماء ببياض غبار الطبشور الذي يتساقط من أيدي المدرسين في مؤسسات التعليم في المغرب وغيره من بلاد المسلمين، وهم يشرحون دروس التسامح والتعايش وقبول الآخر، حسب التعديل الذي طرأ على مقررات التعليم استجابة لتوصيات أو أوامر الإنسان الأورو-أمريكي .

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

السبيل

قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل

استصحاب الصبر ضرورة لتحقيق القوة والنصر

إن دعوات الحق ما قامت ولن تقوم إلا باستصحاب الصبر، ولقد ذكر القرآن الكريم في قصص المؤمنين كيف صبروا، وأمر المؤمنين كذلك بالصبر والمصابرة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

قال السعدي رحمه الله: "..حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك.

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها.

والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به". تيسير الكريم الرحمان

وبين سبحانه وتعالى أن دعوات الحق السابقة واجهت الأعباء والمكائد والزلازل بالصبر، وكانوا يسألون الله أن يفرغه عليهم إفراغًا عند مواجهة عقبات الدعوة واشتداد البلاء والكرب بهم، فهذا نبي الله موسى يُرشد بني إسرائيل إلى استصحاب الصبر حتى يأتي الفرج.

قال تعالى في تلقي موسى وبني إسرائيل إيذاء فرعون بالصبر حتى كان الفرج: {وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ، قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ، وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ، قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} الأعراف.

ولقد أرشد سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى استقبال البلوى بالاستعانة بالصبر عليها، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} وقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}.

بل بين سبحانه وتعالى أن أولياءه المؤمنين كانوا يصبرون ويصطبرون بل ويدعون الله ويطلبونه أن يصب عليهم الصبر صبًّا، حتى يفيض عليهم ويغمرهم وهو الإفراغ. راجع فتح القدير للشوكاني (235/2)، فيكونون بهذا الحال قد استعدوا للشدائد والكروب بأبلغ أنواع الصبر. قال تعالى في شأن الملأ من بني إسرائيل ومؤمنيهم الذين ثبتوا مع طالوت وهم في بروزهم لأهوال المعركة مع جالوت وجنده الكافرين: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ..}

ولهذا استحب بعض أهل العلم أن تكون هذه اللهجة من الدعاء لهجة جنود الإيمان حين يلقون أعداءهم. انظر فتح القدير للشوكاني، وأن تكون هذه العبارة من الدعاء ذكرهم الكثير الذي أمرهم الله به في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وكذلك طلب إفراغ الصبر من الله، كما طلب سحرة فرعون من الله، حين آمنوا وأوعدهم فرعون بكل نكال وعذاب شديد، فأجابوا بقولهم: {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}.

اختتام أشغال الدورة 6 للمجلس العلمي الأعلى بالرباط وانشغال العلماء بمواكبة حركة تطور المجتمع

قال محمد يسف، الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى، إن العلماء المشاركين في الدورة العادية السادسة للمجلس طلبوا في ختام أشغالهم، تمديد أجل النظر في موضوع القروض البنكية إلى فترة لاحقة، تصادف "الدورة القادمة أو قبلها بقليل".

وأوضح يسف، في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، أن "هذا الملف أصبح متضخما والعلماء يريدون أن يتجاوزوا النظرة القديمة، التي عرضت بها المشكلة في أول أمرها، بناء على فتوى أصدرها بعض المشارقة"، مشيرا إلى أنهم لم يقرروا بعد في هذا الشأن، لأن كثرة البحوث والوثائق ذات الصلة لم تمكنهم بعد من حصول على الإحاطة الكافية بالموضوع.

وأضاف أن فقهاء المغرب أنتجوا بحوثا مهمة في هذا المجال، تشكل "محصولا كبيرا لتطوير نظريتهم إزاء المصاريف والفائدة التي يجري التعامل بها، والتي كانت في الصيغة القديمة محط اعتراض من الفقه الإسلامي"، مستحضرا التطور الذي "حدث في البحث الفقهي والآليات التي وضعها بنك المغرب، والتي اقتربت كثيرا من المرجعية الإسلامية".

وقال الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى، إن الدورة السادسة للمجلس، التي حققت الغايات التي انعقدت من أجلها، انكبت أيضا على ملفات على قدر كبير من الأهمية، منها ملف تجديد برنامج العمل الذي على العلماء أن ينهضوا به مستقبلا، باعتباره محطة جديدة ومنعطفا في تاريخ هذه المؤسسة العلمية.

وأضاف أن هذا البرنامج يتجاوب مع الإشارات التي جاءت في الخطاب الملكي السامي بمناسبة عيد العرش، والذي وجه انتباه العلماء إلى ضرورة القيام بإحداث نهضة علمية وصحوة إسلامية متنورة تلبي حاجات المواطنين وتجيب عن أسئلتهم الآنية، مؤكدا على ضرورة مواكبة العلماء لحركة تطور المجتمع ليكونوا على علم بقضاياه ومشاكله.

وفي ما يتعلق بموضوع تعزيز مشروع الإعلام والنشر داخل هذه المؤسسة العلمية، أشار يسف إلى أن المجلس يتهيأ لإصدار مجلة ثانية "محكمة لها قيمتها في موضوع البحث العلمي"، وسيطلق عليها اسم "القبس"، كما جرت دعوة العلماء إلى تكثيف نشاطهم في المنابر الإعلامية، وتنويع إنتاجهم بما يستجيب لانتظارات الناس وتطلعاتهم.

وسجل يسف، الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى، الفراغ الكبير الموجود على مستوى البحث والدراسة والقراءة والتأليف والترجمة والنشر في مجال العلوم الشرعية، مؤكدا على ضرورة العمل على إحداث جهاز علمي يسد هذا الفراغ، وخاصة أن المملكة لها من الطاقات الشابة القادرة على تشكيل النواة الأولى لهذا الجهاز.

ودعا الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى "دعم المجلس حتى يتمكن من تطوير أدائه والرقي بخطابه إلى أفق الإجابة عن انتظارات الأمة" وحتى تتمكن مؤسسة العلماء من "النهوض بمسؤولياتها في تحقيق بلد إسلامي جديد وصحوة دينية متنورة".

مشاريع كبرى تحتفي بالترجمة في الشرق مقابل حركية ضعيفة في المغرب العربي

نظمت مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، بتعاون مع مؤسسة "كونراد أديناور" ومصلحة التعاون والعمل الثقافي لسفارة فرنسا بالمغرب ومركز "جاك بيرك"، ندوة دولية على امتداد ثلاثة أيام تناولت موضوع "ترجمة العلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم العربي المعاصر".

تأتي هذه الندوة امتدادا للعديد من الملتقيات حول حركية الترجمة في العالم العربي عقب صدور التقرير العربي للتنمية البشرية تحت إشراف برنامج الأمم المتحدة للتنمية "نحو مجتمع المعرفة، 2003"، والذي أشار إلى ضعف حركة الترجمة إلى اللغة العربية، مرتكزا على إحصاءات ومعطيات دقيقة في هذا الصدد.

وكان من أبرز ما أثير في هذا الملتقى هو تشتت وفوضوية الأعمال المترجمة، الأمر الذي يُصعب من إمكانية اعتبار هذه الأعمال مرجعا موحدا ومنسجما يمكن اعتماده والرجوع إليه.

وفي هذا السياق وحسب معطيات موضوعية جاءت في مداخلات بعض الفاعلين في مجال الترجمة في هذا الملتقى، فإن الحقل الثقافي العربي المعاصر لحركة الترجمة تطغى عليه نصوص غير مريحة للمتلقي -حتى لا نقول رديئة- مفتقرة إلى التوافق الداخلي، كما أنها تحوي أخطاء فادحة أحيانا على مستوى المعنى وتعدد المصطلحات وهو ما يسلط الضوء من جهة أخرى على الظروف الصعبة للعمل الفكري في العالم العربي، وكذا ضعف مستوى مهنية قطاع النشر في ما يخص الترجمة.

وكان من بين المداخلات ورقة "ريشار جاكمون"، وهو أستاذ باحث في مركز الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والمتوسط في فرنسا، والذي ركز على السياسات العالمية والجهوية في مجال الترجمة. وفي هذا الإطار، ذكر الباحث "ريشار جاكمون" لجوء مجموعة من القوى العظمى في العالم، التي تحظى بنفوذ سياسي في المنطقة العربية على الخصوص، إلى اعتماد سياسات للترجمة نحو العربية، بل إنها أصبحت أساسا لمشاريع سياسية كمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي ارتكز على تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية الذي تمحور حول الضعف الكبير الذي تعرفه حركية الترجمة في العالم العربي، مشيرا أيضا إلى أن تنافس هذه القوى -الفرانكفونية والأنجلوساكسونية على الخصوص- أدى إلى تطوير حركة الترجمة إلى العربية.

وفي نفس الصدد، عدد الباحث الفرنسي جاكمون الكثير من شاكلة هذه المشاريع التي غالبا ما تكون وراءها أهداف سياسية تخدم إيديولوجيات الدول الكبرى، منبها أيضا إلى أن هناك تنافسا فرنسيا أمريكيا يجري حاليا في مجال ترجمة أمهات الكتب إلى العربية تحت مسمى "برنامج المساعدات المتعلقة بالنشر"، ربما كان الهدف منه، هو تسكين أو تخدير الشعور العربي الغاضب على سياسات الغرب.

وخصصت الندوة أيضا حيزا مهما لتناول مكانة الاستشراق في حركة الترجمة العربية ومدى ولاء المستشرقين للغة والبيئة العربيتين، من جهة، ومدى إخلاصهم في نقل الحضارة والثقافة العربيتين إلى لغات غير العربية، من جهة أخرى.

دعوى قضائية ضد اليازغي بسبب تفويت عين بنصميم إلى شركة فرنسية

نظم العشرات من سكان زاوية بنصميم، قرب آزرو بإقليم إفران، مسيرة إلى عين اغبالو المجاورة التي تمد جميع قبائل المنطقة بالمياه احتجاجا على الشركة الفرنسية الإفريقية التي تعاقدت مع السلطات المحلية على إقامة معمل لاستغلال وتسويق مياه العين، فوق مساحة تقدر بثلاثة هكتارات. وتزامنت تلك المسيرة الحاشدة التي خرج فيها الرجال والنساء الأطفال مع قافلة تضامنية دعت إليها الهيئة الوطنية لحماية المال العام، شارك فيها عدد من المنظمات والجمعيات الحقوقية الوطنية والمحلية، وتغيبت عنها الجمعية المغربية لحقوق الإنسان التي كان مبرمجا أن تشارك في القافلة.

وعقد سكان بنصميم منذ التاسعة صباحا، حيث كانوا في انتظار وصول القافلة منذ وقت مبكر من الصباح، تجمعا جماهيريا تحت لافتة كبيرة كتب عليها: «سكان زاوية بنصميم يستنجدون بصاحب الجلالة الملك محمد السادس ويطالبونه بالتدخل»، ألقيت فيه كلمات بعض ممثلي القبائل ونواب أراضي الجموع، الذين دعوا السكان إلى الانضباط وعدم الانزلاق إلى المواجهة مع رجال الأمن وممثلي السلطة كما حصل في شهر شتنبر الماضي، عندما تحولت التظاهرة التي نظمها السكان إلى مواجهة حقيقية جرح فيها بعض المتظاهرين، واعتقل خلالها سبعة من أبناء القرية وقدموا للمحاكمة بالمحكمة الابتدائية بمكناس.

وفي قرابة الساعة الثانية بعد الزوال، انطلقت مسيرة السكان إلى العين المجاورة، حيث كان بعض رجال الأمن متمركزين منذ وقت مبكر مخافة وصول قافلة المتظاهرين إلى الموقع الذي يضم بعض تجهيزات الشركة الفرنسية، على بعد أمتار قليلة من منبع العين، مثلما حصل في المرة السابقة.

وقال محمد آيت الجاري، مفتش سابق في التعليم وأحد أبناء البلدة، في حديث لـ«المساء»، إن عملية تفويت العين إلى الفرنسي "نيكولاس أنطاكي" مسؤول الشركة الفرنسية-الإفريقية، تمت بناء على دراسات اعتمدت التغليط من أجل تبرير الصفقة، حيث تعمدت الجهات المسؤولة الرفع من صبيب العين أكثر مما هو واقع، لكي يتم إيهام السكان بأن مياه العين كافية لهم ولاستغلالها من قبل الشركة. ولرفع هذا التغليط، لجأ السكان إلى رفع دعوى قضائية يطالبون فيها بإنجاز خبرة علمية دقيقة حول صبيب العين، وقال آيت الجاري: «نريد خبرة تقوم بها لجنة علمية مختلطة، مغربية وأجنبية، لأننا لا نثق في أية لجنة أخرى»، كما رفع السكان عبر ممثليهم دعوى أمام المحكمة الإدارية ضد محمد اليازغي، الذي كان عند بداية الأزمة عام 2001 يشغل حقيبة الماء والبيئة وإعداد التراب الوطني، باعتباره المسؤول المباشر عن الموضوع. (جريدة المساء)

العدد 28، 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

برغم الحملة ضدها.. عدد المساجد في غزة يتضاعف خلال انتفاضة الأقصى

في ظل الصحوة الدينية المتزايدة في قطاع غزة والتي زادت بشكل كبير في قطاع غزة في سنوات انتفاضة الأقصى زاد عدد مساجد قطاع غزة إلى الضعف تقريبًا.

وبحسب إحصائية خاصة بـ"مفكرة الإسلام" كان عدد المساجد في قطاع غزة وحتى انتفاضة الأقصى عام 2000م حوالي 460 مسجدًا موزعة على كافة محافظات القطاع.

غير أنه وفقًا لأحدث إحصائية فإن عدد مساجد قطاع غزة اليوم وحتى شهر رمضان الماضي بلغ قرابة 774 مسجدًا موزعة كالتالي:



- مدينة غزة والمحافظات الشمالية 359 مسجدًا.
- محافظات الوسطى 137 مسجدًا.
- مدينة رفح 93 مسجدًا.
- خان يونس والقرى الشرقية 185 مسجدًا.

مع العلم أن هناك العديد من المساجد تحت الإنشاء.

وعلى الرغم من الحملة الشرسة التي تتعرض لها المساجد من قبل التيار العلماني الفتحاوي الذي يقوده عباس ودحلان إلا أن المساجد في قطاع غزة تلعب دورًا هامًا وفعالاً في توعية الشباب وتثقيفهم، وتعمل بشكل واضح على توعية الأمة وتحذرها من المخططات التي يحاول أعداء الأمة تمريرها لتصفية القضية الفلسطينية.

إقالة رئيسة جمعية الناجين من هجمات سبتمبر لاكتشاف كذبها



أقيلت رئيسة جمعية الناجين من هجمات 11 شتنبر 2001 بعد انكشاف كذبها بوصفها واحدة ممن نجوا من تحطم برجي التجارة العالمية في نيويورك.

وأعلنت جمعية "شبكة الناجين" في بيان أنها أقالت رئيستها "تانيا هيد" بعد مقال نشرته صحيفة "نيويورك تايمز" كشف أن السيدة كذبت بتأكيدها أنها كانت من بين الضحايا.

وكانت الرئيسة "هيد" قد بنت سمعتها على مزاعم قالت فيها: إنها أحد الناجين من دمار برجي مركز التجارة العالمي، وإنها كانت في الطابق الثامن والسبعين من البرج الجنوبي عند وقوع الهجمات ونجحت في الخروج منه زحفًا بينما كان يحترق.

وأضافت أنها أصيبت بجروح خطيرة وأنها فقدت صديقها في هذه الهجمات.

وقد ظهرت في عدة صور إلى جانب عمدة نيويورك حينذاك "رودولف جولياني".

وأثار ذلك سخطًا لدى جمعيتها، ووصف البعض ما قامت به "هيد" بالخيانة، وقال الرئيس الجديد للجمعية "ريتشارد زيمبلر": "إن ما قامت به هيد ليس فقط خيانة لصداقتنا بل لمجتمع 11 سبتمبر بأسره".

أوضح "زيمبلر" أنه لم يكن هناك سبب يستدعي الشك أو تكذيب قصتها فقد "بدت جزءًا من الأحداث.. كان لديها ذراع مصابة وندوب ناتجة عن الحريق.. لقد بدت قصتها واقعية جدًا". وتساءل "زيمبلر" الذي انضم إلى الجمعية عام 2005 "كيف سأسأل عن مصداقية رئيسة الجمعية نفسها؟".

الاختصاصية النفسية "بيلا دي باولو" قالت من جهتها: "إن هيد قامت بفعلتها "لسبب أعمق من ذلك"، وأضافت "لقد أرادت ما يريده معظم الكاذبون.. وهو تغيير الطريقة التي ينظر الناس الآخرون إليهم.. أرادت أن تكون محبوبة وتحظى بالمحبة والاحترام والتقدير والرعاية".

مسؤول أفغاني يعترف: الـ"ناتو" عاجز عن الأداء في أفغانستان

أقرّ ياسين رسولي رئيس مركز الأبحاث بوزارة الخارجية الأفغانية بأنه وعلى الرغم من السنوات الطويلة التي بقيتها قوات منظمة حلف شمال الأطلسي الـ"ناتو" في أفغانستان إلا أن هذه القوات مازالت عاجزة عن التصدي لما أسماه بـ"قوى الإرهاب".

وأخبر رسولي المؤتمر الدولي الخامس عشر لمنطقة آسيا الوسطى والقوقاز أن النمو المتزايد في معدلات زراعة الخشخاش في أفغانستان يمثل تحديًا كبيرًا يواجه حكومة أفغانية.

ووفقًا لصحيفة "ماتابا" قال المسؤول الحكومي الأفغاني: "إنه واستنادًا إلى إحصائيات الأمم المتحدة، فإن العام الجاري وحده شهد زيادة قدرها 17% في معدل زراعة الخشاش".

وأعرب رسولي عن قلقه البالغ من تزايد أعداد المدنيين الأفغان الذين يسقطون قتلى وجرحى بنيران عشوائية لمنظمة حلف شمال الأطلسي الـ"ناتو"، وقال: "إنه أمر مؤسف أن هذه الأعداد تزداد يومًا بعد يوم".

وأضاف المسئول الأفغاني: "ضعف مستوى الأداء الدبلوماسي يعتبر واحدًا من بين عدة أسباب أخرى أدت لفشل منظمة حلف شمال الأطلسي في أفغانستان".

وأردف رسولي: "العمليات عسكرية لها تأثير سريع ولكنه قصير المدى، أما المفاوضات السياسية المبنية على رؤية واعية للمستقبل والمرتبطة بخطط مدروسة بشكل جيد فهي التي تحقق نتائج على المدى الطويل".

"البنتاجون" يطلب أموالاً لتطوير قنبلة ضخمة لخرق التحصينات

أعلن مسؤولون أن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) طلبت أموالاً من الكونجرس لتعديل قاذفاتها من طراز "بي2-" حتى تتمكن من إلقاء قنابل تجريبية ضخمة لخرق التحصينات.



ويقول خبراء: إن القنبلة مخصصة بالتأكيد لضرب مواقع نووية إيرانية تحت الأرض.

وبحسب وكالة "فرانس برس"، يطالب سلاح الجو بحوالي 88 مليون دولار لإنجاز تطوير هذه القنبلة الموجهة بالقمر الصناعي التي تناهز زنتها 13,6 طنًا وتعديل القاذفات "بي2-" حتى تتمكن من نقلها، كما قالت متحدثة باسم سلاح الجو.

وقد ورد هذا المبلغ في طلب زيادة الموازنة 42,3 مليار دولار الذي رفعته إدارة "بوش" إلى الكونجرس لتمويل "الحرب على الإرهاب"، فأثار تساؤلات حول سرعة إنجاز تطوير ما سيصبح أهم قنبلة موجهة بالأقمار الصناعية في الترسانة العسكرية الأمريكية.

ويعتبر بعض الخبراء أن هذه القنبلة التي تسمى أيضًا "الكبيرة الزرقاء" صممت بهدف ضرب المواقع النووية الإيرانية المخفية.

وقال "جون بايك" مدير مؤسسة "غلوبال سكيوريتي" المتخصصة في المسائل العسكرية: "أعرف أنهم اهتموا بالقنبلة في وقت بدأ الإيرانيون في إخفاء موقع ناطنز الكبير لتخصيب اليورانيوم تحت الأرض".

الفاتيكان يرفض محاورة المسلمين لإيمانهم بأن "القرآن كلام الله"



أعلن الفاتيكان رفضه لدعوة الحوار التي وجهها عدد من الشخصيات الإسلامية، وذلك بسبب إيمان المسلمين بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل.

وقال الكاردينال "جان لويس توران" المسؤول المختص بشؤون الإسلام في الفاتيكان: "من الصعب إجراء حوار ديني حقيقي مع المسلمين لأنهم يعتبرون أن القرآن هو الكلام النصي لله ولا يناقشوه بعمق".

وأضاف "توران" في مقابلة مع صحيفة لا كروا الكاثوليكية الفرنسية اليومية قوله: إنه سيتعين على المسيحيين مناقشة القيود المفروضة على بناء الكنائس في العالم الإسلامي، على حد زعمه، في الحوار الذي نادى به 138 شخصية مسلمة.

وقال توران: "لا يقبل المسلمون أن يناقش أحد القرآن بعمق لأنهم يقولون إنه كتب بإملاء من الله"، مضيفًا: مع هذا التفسير الجامد يكون من الصعب مناقشة فحوى الدين.

وزعم "توران" أن بإمكان المسلمين بناء مساجد في أوروبا بينما تفرض الكثير من الدول الإسلامية قيودًا على بناء الكنائس أو تحظر بناءها، على حد قوله.

وكان 138 شخصية مسلمة، يغلب على معظمهم الطابع الرسمي، قد وجهوا الدعوة للفاتيكان لإجراء حوار يستند إلى ما أسموه بمعتقداتهم المشتركة بأن حب الله والجار هو حجر الزاوية لديانتيهما، وفقًا لما جاء في تلك الدعوة.

ولمح "توران" إلى أن بابا الفاتيكان "بينديكتوس السادس عشر" قد يستغل الاجتماعًا الكبير بين الأديان في "نابولي" للرد على الدعوة.

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب

هيئة التحرير:
حماد القباج - رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال - علي نجم - محمد أبو الفتح -
أحمد السالمي - إبراهيم بيدون - عبد المجيد آيت عبو
المسؤول المالي:
إبراهيم الوزاني

العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة - سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr

السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

السبيل

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

مهرجان طنجة التاسع وترسيخ ثقافة الجنس وحرية الاعتقاد

إعداد:إبراهيم بيدون
Brahim-assabil@hotmail.com

في ظل الزخم الإعلامي الذي يعيشه بلدنا المغرب والذي تطبع جوانبه وحيثياته الإيديولوجية العلمانية الداعية إلى تحرير الشخصية المغربية من كل القيم التي من شأنها أن تقيد حريتها في التمتع بالذات بكل صورها حتى لو كانت غير شرعية، وتمنع هذه الشخصية من الافتخار بالماضي القديم كيفما كانت حالته الاجتماعية والدينية، وتقيدها من الانفتاح والتعايش مع الآخر لأنها تجمعها معه رابطة الإنسانية، هذه القيم التي تقيد كذلك حرية الأشخاص في الاعتقاد والتدين، فلا عيب عندها أن يعبد المرء الشيطان وأن يكون مَلَكا في مملكة الشيطان..

نعيش بين الفينة والأخرى فصول مهرجان غنائي أو سينمائي تبرز فيه الخطوط العريضة الذي يراد للمغرب أن ينتهجها في التعامل مع حريات الأشخاص، والانفتاح والتعايش مع الآخر..

والدور هذه المرة كان على المهرجان السينمائي التاسع الذي انعقد في مدينة طنجة في الفترة ما بين 17 و27 من شهر أكتوبر المنصرم، والذي نظمه هذا العام المركز السينمائي المغربي، حيث عرض فيه 25 فيلما طويلا و27 فيلما قصيرا، وحضر افتتاحه وزير الإعلام الجديد خالد الناصري ووزيرة الثقافة الجديدة السعدية قريطيف (ثريا جبران) ووجوه كثيرة من المخرجين والممثلين المشاركين وغير المشاركين.

تعرض المهرجان لانتقادات متعددة من أطراف شتى، حيث اعتبر الكثير من النقاد أن هذا المهرجان هو بمثابة مشروع يذر المئات من الملايين على هؤلاء المخرجين، وفي الأخير لا ترتقي أفلامهم للمستوى المطلوب.

إن ما استوقفني في هذا المهرجان بغض النظر عن مشروعيته.. هو ذالكم التنوع الذي صبغ مواضيع الأفلام المعروضة فيه، حيث عرف مشاركة أفلام تكسر طابوه الجنس، وفيلم أمازيغي، وفيلمين حول هجرة اليهود إلى الكيان الصهيوني، وفيلم يناقش إشكالية التعايش بين المسلمين والغرب، وفيلم يدافع عن حق الشباب في حرية التدين واختيار السلوك، بالإضافة إلى أفلام أخرى تناقش مواضيع متنوعة..

السينما المغربية والجنس وتوظيف الجسد الأنثوي

اختار لطيف لحلو مخرج فيلم "سميرة في الضيعة" تيمة العجز الجنسي الرجولي (العنة)، مقابل الرغبة الجنسية القوية للزوجة.. فوظف العجز الجنسي مادة فيليمة لتكسير "طابو" الجنس، الذي ينبغي أن يكسر على حد قوله..

لقد احتوى هذا الفيلم على مشاهد مخلة بالحياء، ولقطات جنسية مثيرة.. هذا الأمر مرغوب فيه سينمائيا -عند مروجي سينما الفحش والرذيلة- إذا كان سيؤدي الرسالة المطلوب توجيهها للمشاهد، وهو ما صرح به المخرج لإحدى اليوميات، حيث قال: "وإذا كان من الضروري أن يتضمن الفيلم مشاهد جريئة جنسيا، لأن السيناريو يقتضي ذلك، فإن ثمة وسائل لتصويرها بدون أن نعرض أحاسيس المشاهد للصدمة".

كما جعل الفيلم ممارسة الفاحشة والخيانة الزوجية هي الحل الوحيد بالنسبة لمشكل الضعف الجنسي عند الزوج، لتعود العقدة حاضرة بعد طرد الخليل من حياة الزوجة!

وينبغي الإشارة إلى أن بطلة الفيلم سناء موزيان سبق لها وأن أدت نفس الدور في فيلم "الباحثات عن الحرية" للمخرجة إيناس الدغيدي، والتي تظهر فيه في مشاهد خليعة..

فهل هذه هي القيم (الزنا، والخيانة الزوجية).. التي تقدم للجمهور المغربي كحل للخروج من العزلة والتغلب على الضعف الذي يعاني منه أحد الزوجين، هي الحل الأنجع لمعالجة مثل هذه المشاكل، أم أن **محاربة الفضيلة والعفة والحياء، وتحقيق الربح المادي**، هي الدوافع الحقيقية لمثل هؤلاء المخرجين لإنتاج هذه الأفلام؟!

إن توظيف الجسد الأنثوي هو الطابع الذي أصبح يسيطر على السينما المغربية، وهذه رسالة يمررها أدعياء الحداثة والتحرر، لمسخ هوية الأجيال الصاعدة، ولقتل هاجس الغيرة عند المشاهد المغربي (ففيلم "ماروك" عرضت فيه عملية الجماع مرتين).. هذه الأيديولوجية



تظهر في أفلام أخرى مشاركة في هذا المهرجان منها فيلم "نانسي والوحش" الذي جعل من الرقص التيمة الغالبية على موضوع الفيلم، ومن الأفلام المشاركة التي تضمنت مشاهد مخلة بالحياء فيلم "ثابت أم غير ثابت"، وفيلم "انهض يا مغرب"، وهذا ما دفع البعض إلى القول أن أفلاما في المهرجان كان ينبغي أن تشارك في مهرجان الأفلام الإباحية الذي يقام في ألمانيا ..

قضية اليهود في السينما المغربية

مما شد الانتباه في المهرجان إثارة بعض الأفلام لقضية هجرة اليهود المغاربة إلى الكيان الصهيوني، مثل فيلم "فين ماشي يا موشي؟" للمخرج حسن بنجلون، وفيلم "وداعا أمهات" للمخرج محمد إسماعيل.

الفيلم الأول يتحدث عن قصة مصطفى مسير الحانة الوحيد بمدينة أبي الجعد المغربية الذي أدرك أن اليهود المغاربة سيرحلون إلى الكيان الصهيوني وأن حانته ستتعرض للإغلاق فأخذ يفكر في حل لأزمته المنتظرة.

أما فيلم محمد إسماعيل، الذي تم تصويره بالدار البيضاء وتطوان، فهو يجسد وضع اليهود المغاربة في الفترة المعروفة بـ"السنوات السوداء للهجرة" حيث الإحساس بالحيرة تجاه رغبتين متنازعتين هما: البقاء في الوطن أو الرحيل الذي يأخذ صفة الاجتثاث.

وللذكرى فإن فيلم "ماروك" للمخرجة ليلى المراكشي كان قد أثار جدلا كبيرا العام الماضي بالمهرجان نفسه، لتقديمه مواقف مهينة للدين الإسلامي بجعل فتاة مغربية تسقط في حب فتى يهودي يتمسك برموزه الدينية في حين تُمتَهن الشعائر الإسلامية بالفيلم (الصلاة، الصيام..).

> "..أفلام المهرجان كان ينبغي أن تشارك في مهرجان الأفلام الإباحية الذي يقام في ألمانيا.."
>
> ..أحمد بولان مخرج فيلم "ملائكة الشيطان" يدافع عن قيم ممارسة الجنس المحرم وتعاطي المخدرات، فقد صرَّح في الندوة التي عقدت بعد عرض فيلمه أنه يصل هو شخصيا حد "التبْوَاق"، كما أنه يدافع على الموسيقى الصاخبة لأنها موسيقى غير مجنَّسة، وغير خاضعة لانتماء جغرافي على حد قوله.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن المغرب مقبل على تنظيم مهرجان "كازا سينما" الذي سيعرض فيلما "إسرائيليا"، وكذلك مهرجان "الأندلسيات الأطلسية" الذي يعنى بملامح التقارب بين الثقافة العربية واليهودية على حد قول منظميه.

فما سبب اهتمام السينما المغربية بقضايا اليهود (الهجرة)؟

أليست هجرة اليهود إلى فلسطين هي من أسباب قيام الكيان الصهيوني الذي يسفك دماء الفلسطينيين كل يوم بل ويتفنن في ذلك (مجزرة صبرا وشاتيلا، وجنين..)، وذلك تحت مرأى ومسمع من العلج الغربي؟

أليس اللوبي اليهودي هو الذي يحكم العالم في الخفاء، فيرفع من شأن أدعياء الحداثة والديمقراطية والعلمانية -الذين يهاجمون الدين بل ويحاربونه- وفي المقابل نعرض نحن أفلاما تصور محنة هجرتهم؟!!

أحمد بولان وفيلمه "عبدة الشيطان"

ومن أفلام الدورة أيضا فيلم "ملائكة الشيطان" للمخرج أحمد بولان، وهو فيلم يتناول قضية الشبان المغاربة الذين ألقي القبض عليهم منذ أربع سنوات بتهمة الانتماء لعبدة الشيطان.

هذا الفيلم يدافع عن حق الشباب في نهج سلوكياتهم الشاذة كتعاطي المخدرات (الحشيش، الشيشة..)، والانغماس في أنغام الموسيقى الصاخبة موسيقى "الهارد روك" و"الهارد ميتال"، والتميز بارتداء الملابس السوداء، ووضع القراريط والقلائد التي تحمل رموزا كالجماجم والنجمة السداسية.

كل ذلك يعتبر من طقوس عبدة الشيطان الذين أصبح لهم نشاط مثير للجدل داخل المجتمع المغربي، وتسمح لهم وزارة الثقافة بإقامة مهرجاناتهم كـ"البولفار" الذي يقام سنويا في مدينة الدار البيضاء، و"مهرجان أنغام السلام" الذي أقيم صيف السنة الماضية على شاطئ أصيلا.

إن مخرج الفيلم أحمد بولان يدافع عن قيم ممارسة الجنس المحرم وتعاطي المخدرات فقد صرح في الندوة التي عقدت بعد عرض فيلمه أنه يصل هو شخصيا حد "التبواق"، كما أنه يدافع على الموسيقى الصاخبة لأنها موسيقى غير مجنسة، وغير خاضعة لانتماء جغرافي على حد قوله.

فهل تلميع ثقافة الحوار والتعايش مع الآخر كيفما كانت النتائج وخيمة (السياحة الجنسية، الأمراض الجنسية الفتاكة كالسيدا والزهري والسفليز، نقل القيم الفاسدة التي يعيشها الغرب إلى المجتمع المغربي..)، ونشر ثقافة الجنس وحرية الاعتقاد، وإحياء الموروث الثقافي الوثني للأمازيغ، هو ما تريد وزارة الثقافة تقديمه للمجتمع المغربي؟!!

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

توزيع الأدوار بين الكلمة والرصاص

لبناء أمن أوربا وأمريكا و"إسرائيل"

إبراهيم الطالب

من يتابع الأوضاع في المغرب خلال السنوات الأخيرة لا بد أن يثير انتباهه ذلك السيل المتدفق المنهمر من العبارات المبهمة الغامضة ذات المفاهيم الملتبسة والقراءات المختلفة بل المتناقضة، عبارات يلوكها الساسة و"المثقفون" في خطاباتهم، كما يمضغها الراقصون والراقصات دون وعي بخطورتها أو إدراك لما تجنيه على مستوى العقيدة والدين.

ولعل أبرز هذه العبارات: "التسامح" و "التنوع" و"الآخر" و"التطرف".. وكلمات أخرى يُنتجها مثقفو وساسة ذلك "الآخر"، ويقحمها قهرا -وهو يعرف كيف ومتى- في ثقافتنا التائهة بين علمانية خاضعة للغرب منبطحة لسياسته الثقافية الخادمة لخططه الاستعمارية في بلاد المسلمين، وبين ساسة يمثلون الأمة دون رغبة منها ولا تنصيب، همهم إحراز مصالح شخصية تهون دونها الأمة بدينها وهويتها.

لقد أصبح من المقرف جدا أن ترى وتسمع في التلفزة وفي الندوات والاجتماعات الرسمية وغير الرسمية خطابات صيغت بطرق مختلفة لتعبر عن مضامين واحدة، وكأن الكاتب واحد أو المرجعية موحدة، الكل يدندن حول التسامح حول قبول الآخر حول القبول بالتنوع، دون أن يكلف أحد نفسه أن يعرِّفنا قبلُ بهذه "الأنا" التي يجب أن تتسامح مع "الآخر"، والتي تُطالَب بقبوله ليُنوِّع لها نسيجها الرمادي الكئيب.

ساركوزي "الآخر" وتاريخ الأمة المغربية

كيف لا يحس بالقرف إنسان سويٌّ واعٍ بما تريده الدول الغربية من الدول الإسلامية، مطلع على تاريخ بلاده الحافل بآلاف الصور القاتمة التي تحكي استغلال وقهر وتشريد الإنسان الغربي للإنسان المغربي المسلم، كيف لا يحس بالامتعاض والحنق وهو يسمع صوت تصفيق يصدر من أيدي ممثلي الأمة وهم يحيون رئيس الجمهورية الفرنسية العلمانية المتشددة في لائكيتها يخطب فينا مشيدا بالمغرب الذي كانت له الجرأة في أن يعيد قراءة تاريخه.

معذورة تلك الأيادي التي تعبت بالتصفيق لكونها لم تتح لها فرصة تقليب أوراق تاريخ بلادها الذي كُتِب بدم الأجداد والآباء والأمهات.

فعن أي تاريخ يتحدث الرئيس الفرنسي؟

عن قرون من الحروب الصليبية؟

أم عن الاحتلال العسكري الهمجي للبلاد؟

أم عن تقتيل العباد؟

أم عن محاكم التفتيش في الأندلس التي لم يتذكر منها الرئيس سوى الغناء والفن؟

أم عن مجازر الجيش الفرنسي في الدار البيضاء ووجدة وفاس وفي كل التراب المغربي؟

أم عن عقود من الاستغلال الفرنسي لمقدرات البلاد، نهبت خلالها ثروات المغرب واستنزفت خيراته؟

أين كان التسامح الأوربي يوم دكَّ المارشال "ليوطي" البيوت على الأطفال والنساء في مدن المغرب المسالم؟

أين كان مفهوم قبول "الآخر" يوم سيق المغاربة مكرهين إلى حرب الهند الصينية؟

ألم يكن قد مرَّ أكثر من قرن وعشرين سنة عن إعلان مبادئ الثورة الفرنسية يوم فرضت فرنسا حمايتها بقوة السلاح على المغرب؟

توزيع الأدوار بين الكلمة والرصاص

في الوقت الذي كان الرئيس الفرنسي يدعو المغاربة إلى التسامح وقبول الآخر والتعايش ويحذرهم من الإسلاميين والتطرف، ويصارحهم بحب فرنسا والفرنسيين للمغرب والمغاربة، كانت منظمة "لارش دي زو" الخيرية الفرنسية تقوم بصفقة كبيرة في تجارة الرقيق من أبناء المسلمين حيث أوقفت السلطات التشادية في أحد مطارات شرق تشاد (غرب السودان) تسعة فرنسيين ومعهم آخرون إسبان وهم يقومون بمحاولة تهريب 103 أطفال تتراوح أعمارهم بين عام وتسعة أعوام خطفوا من مخيمات النازحين واللاجئين في دارفور وشرق تشاد، وذلك قصد المتاجرة بهم في سوق الأعضاء البشرية.

لقد استطاع الغرب أن يمزج بين الكلمة والرشاش وبين العبارة والمدفعية، ونجح في أن يجعل كلامه يخدم ناره ويسوِّغ التهامها لأجساد الضعاف من الخلق، فأعطت نارُه لكلامه هيبة تجعل النفوس تخضع ولو لم تقتنع العقول.

فلا غرابة إذا أن يدعو مجرمو الحرب إلى السلام بين كيان صهيوني زرعه المستعمر الأوربي في جسد الأمة يملك أسلحة الدمار الشامل وبين شعب تقول الإحصائيات أن 75 في المائة منه لاجئون في بلدان أمة تركت التسلح، وتركت دينها، وصار مثقفوها وساستها -إلا من رحم الله- ببغاوات تلوك عبارات التسامح والتنوع والأنسنة، عبارات أريد لحروفها أن تتمطط لتشمل كل معاني الانبطاح والذل والخزي، وكل دلالات التفلت من الواجبات الدينية تجاه الإخوة في الدين والعرق، وتجاه المقدسات والحرمات.

إن هيمنة السياسة الاستغلالية للدول الأوربية وأمريكا و"الكيان الصهيوني" لم تستطع أن تبسط على الأمة إلا بعد تحطيم ثقافتها الإسلامية المرتكزة على معاني الهوية الدينية والخصوصية الإسلامية والتي تعتبر الدين الإسلامي مصدرا للتشريع، ومؤطرا للسياسة والثقافة والاجتماع لا مجرد طقوس ومعتقدات تندرج ضمن الحريات الشخصية كما هو عند النصارى.

إن دعاوى التسامح والتعايش وعبارات الاتهام بالتطرف والإرهاب كانت دائما تؤثث خطابات الغزاة، ألم يصف قادة الاحتلال المقاومين المغاربة الأشاوس بالإرهابيين؟ ألم يدع الاحتلال المغاربة إلى التسامح والتعايش في الوقت الذي كان ينزل فيه آلاف الجنود الغزاة على أرصفة الموانئ المغربية؟

ألم يأت "نابوليون بونابرت" إلى مصر مصحوبا بالإضافة إلى المطبعة بعشرات من المدافع والأطنان من البارود وعشرات الرهبان، والآلاف من الجنود؟

هذا كله يدفع كل غيور إلى البحث في الكيفية التي يفكر بها الإنسان الأوربي والأمريكي وفي الآليات التي يستطيع من خلالها تنويم الشعوب والحيلولة دون بناء صورة مكتملة عن خطورة ما يقترفه من دمار على بنيتها العقدية والثقافية والاجتماعية.

إن الإنسان الغربي يملك كل الآليات لصنع المصطلح وللترويج له كما يملك الوسائل والطرق لحمل بعض منهزمين من المسلمين على اعتقاد المفاهيم التي يسكبها في القوالب اللفظية التي ينحتها لخدمة برامجه.

فكيف يستطيع مثلا أن يمارس الحرب ويروج للسلام في آن واحد دون أن يستطيع أحد أن يسِمَه بالتناقض والنفاق؟

كيف يستطيع أن يغلف رصاصاته وقنابله بغطاء السلام فتصبح حروبه عادلة رغم نشرها للدمار والنهب وسفكها للدماء؟

ما معنى أن نقبل بالمفهوم الغربي للتعايش والتسامح؟

إن مفهوم التعايش والتسامح الذي نطالَب به اليوم من طرف الغرب والعلمانيين في بلادنا، ليس هو المفهوم نفسه الذي دعا إليه الإسلام، ولو حاول بعض من يحسبون على منظمي الحقل الديني بالمغرب ليَّ النصوص لتوافق المفاهيم الغربية.

فالإسلام الذي أمَرنا بأن نحسن إلى أهل الذمة وأن لا نتعرض لهم بسوء هو الإسلام نفسه الذي أمرنا بعدم موالاتهم، والحذر من أن يفتنونا في ديننا، حتى أمرنا بمخالفتهم في كل ما هو من شعارهم.

إن من مستلزمات التعايش والتسامح وفق المنظور الغربي أن نقوم بإعادة قراءة لتاريخنا بالشكل الذي يتماشى مع المفاهيم الغربية، ومن ذلك إعادة قراءة نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة، والتخلي عن كل المفاهيم المرتبطة بالولاء والبراء والمؤسِّسَة للهوية الإسلامية.

فالقبول بالتعايش والتسامح الغربيين يفرض علينا القبول بحرية التدين بالمفهوم الغربي لها، والذي يعني القبول ببناء الكنائس في المغرب وبالسماح للمنصرين بالقيام بنشاطاتهم التنصيرية في صفوف أبنائنا المسلمين، وعدم التعرض لمن بدل دينه وخرج من الإسلام منهم، خصوصا وقد أصبح هذا كله من مطالب الفاتكان.

وخلاصة الأمر، ينبغي علينا إذا أردنا أن نعتقد مفاهيم الغرب حول التعايش والتسامح والقبول بالتنوع أن نعتقد العلمانية دينا جديدا بدل الدين الإسلامي، وهذا ما أوشك الرئيس "ساركوزي" أن يقوله عندما أشاد بالقراءة الجديدة التي قام بها المغرب لتاريخه والتي جعلته حسب رأيه يتبنى مفاهيم التعايش والتسامح والقبول بالتنوع إلى حد إقامته للقداس بكاتدرائية الرباط حضرها الرهبان والحاخامات وأئمة المساجد، وكذلك عندما ثَمَّن كون المغرب لا تتدخل الأحزاب فيه في علماء الدين ولا يتدخل علماء الدين فيه في السياسة.

لقد أوشك الرئيس أن يصرح بأن تقبل المغرب اليوم للفكر العلماني لا يتفاوت في شيء مع حال فرنسا العلمانية، لولا أنه خشي أن يحدث أزمة أو أن يحرج من يهمهم أن تسري العلمانية ومفاهيمها رويدا رويدا في بنية المغرب حتى يستفيق الناس يوما على إعلان حكم جمهوري، خصوصا وقد كثرت المطالبة به في خضم هذه الفوضى الفكرية والسياسية والأخلاقية عندئذ يطالبنا العلمانيون بتبني دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة كما سبق أن تبنوا القوانين الفرنسية الأخرى. وحسبنا الله ونعم الوكيل

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

فتور وانتكاس بعد موسم الطاعات والقربات.. ما السّر في ذلك؟!

محمد أبوالفتح

يعاني المسلمون جميعا إلا من رحم ربُّك بعد رمضان من فتور وانكسار هممهم عن فعل الخيرات، فأهل الطاعة منهم لا يجدون من أنفسهم ذلك الإقبال على القُربات الذي كانوا يجدونه في رمضان، وأهل المعاصي كثيرٌ منهم رجعوا إلى ما كانوا عليه قبل رمضان من التفريط في الصلوات، والانغماس في الشهوات، فبيوت الله تشتكي من قلة المصلين بعدما غصت بهم جنباتها، وكأني بالدموع تسيل على جدرانها، حزنا على فراق جموع المسلمين، ولسان حالها يقول: "سامحكم الله لماذا هجرتموني؟ وأي شيء اقترفته في حقكم حتى تفارقوني؟ وهل وجدتم في رحابي من الله غير الرحمة والمغفرة والرضوان؟ فبالله عليكم أخبروني لماذا هذا الجفاء؟"، لست أدري ماذا سيكون جوابهم، ولو كنت أعلم لهم جوابا مقنعا لأجبت عنهم. فما هي أسباب هذا الجفاء؟ وما هي أسباب الثبات على الاستقامة؟

شؤم المعصية

إن من أعظم أسباب الفتور عن الطاعة، والشعور بثقلها على النفس اقتراف المعاصي والاستهانة بها، ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ" المطففين، قال ابن كثير: "أي ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين؛ بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرَّين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا". فالمعاصي حُجُبٌ تحول بين الكافر وبين أصل الإيمان، وتحول بين المسلم وبين كمال الإيمان، الذي هو أصل كل الطاعات والقربات، فإذا جثمت على قلب العبد ثقلت عليه كل طاعة، وخفت عليه كل معصية، وكل سيئة تَجُرُّ إلى مثلها أو أَسْوَءَ منها، كما أن الحسنة تجر إلى مثلها أو أحسن منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن الله تعالى خلق فِعْلَ العَبْدِ سببا مقتضيا لآثار محمودة أو مذمومة، والعمل الصالح مثلُ صلاة أقبل عليها بقلبه ووجهه، وأخلص فيها وراقب وفَقِهَ ما بُنيت عليه من الكلمات الطيبات والأعمال الصالحات، يعقبه في عاجل الأمر نور في قلبه، وانشراح في صدره، وطمأنينة في نفسه، ومزيد في علمه، وتثبيت في يقينه، وقوة في عقله، إلى غير ذلك من قوة بدنه، وبهاء وجهه، وانتهائه عن الفحشاء والمنكر، وإلقاء المحبة له في قلوب الخلق، ودفع البلاء عنه، وغير ذلك مما يعلمه و لا نعلمه. ثم هذه الآثار التي حصلت له من النور والعلم واليقين وغير ذلك، أسباب مُفْضية إلى آثار أخر من جنسها ومن غير جنسها أرفعُ منها، وهَلُمَّ جرا؛ ولهذا قيل: **إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وكذلك العمل السيئ، مثل الكذب مثلا يعاقب صاحبه في الحال بظلمة في القلب، وقسوة وضيق في صدره، ونفاق، واضطراب، ونسيان ما تعلمه، وانسداد باب علم كان يطلبه، ونقص في يقينه وعقله، واسوداد وجهه، وبغضه في قلوب الخلق، واجترائه على ذنب آخر من جنسه أو غير جنسه، وهلم جرا، إلا أن يتداركه الله برحمته**" (مجموع الفتاوى 396/8)، وأزيد على قول شيخ الإسلام: "وانسداد باب علم كان يطلبه"، فأقول: "وانسداد باب عمل كان يعمله"، فالعبد لا يُوفق للعمل الصالح إلا إذا أُذن له فيه من رب العالمين، كما قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" يونس، وفي دعاء الاستيقاظ من النوم: "الحمد لله الذي ردَّ عليَّ روحي وعافاني في جسدي **وأذن لي بذكره**" (صحيح الجامع 329)، فالتوفيق للعمل الصالح من أعظم نعم الله تعالى التي تستدعي شكره، فإذا لم تشكر وقوبلت بالعصيان، كانت عرضة للذهاب تماما كغيرها من النعم.



احذر من الاستخفاف بالمعصية

وأول خطوة يخطوها العبد نحو المعصية هي تحقيرها والاستخفاف بها، فإنه إذا احتقر المعصية في قلبه، هان عليه اقترافها، وخف عليه اجتراحها، وكان منها قاب قوسين أو أدنى، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "..فاستقلال العبد لمعصيته عين الجرأة على الله، وجهل بقدر من عصاه، وبقدر حقه، وإنما كان مبارزة؛ لأنه إذا استصغر المعصية واستقلها هان عليه أمرها وخفت على قلبه، وذلك نوع مبارزة" (مدارج السالكين 265/1).

وقد تكون هذه الذنوب المحقرة عند العبد من العظائم عند الله، كما قال تعالى في شأن الإفك: "وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ" النور، وقال أنس بن مالك: "إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات (أي: المهلكات)" (صحيح البخاري 6127)، فإن لم تكن هذه الذنوب من الكبائر في نفسها فإنها مع الإصرار تصير كذلك، كما ورد عن ابن عباس: "لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" (تفسير ابن جرير 39/4)، وقال بعضهم في أبيات:

صَغِيرَةٌ تَكْبُرُ بِالاصْرارِ ... وَفَرَحٍ بِهَا وَالاسْتِصْغَارِ
وَفِعْلِهَا بِلا حَيَاً جِـهَـارَا ... وَبِالتَّحَدُّثِ بِهَـا افْتِخَـاراَ

فإن الإصرار على الذنب مهما كان صغيرا يعني اجتراء العبد على ربه، لذلك كان بعض السلف يقول: "لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت"، وعن كعب الأحبار أنه قال: إن العبد ليذنب الذنب الصغير، فيحقره ولا يندم عليه ولا يستغفر منه، فيعظم عند الله حتى يكون مثل الطود. ويعمل الذنب العظيم فيندم عليه ويستغفر منه، فيصغر عند الله عز وجل حتى يغفر له" (شعب الإيمان 7151)، وعن الفضيل بن عياض أنه قال: "بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله" (شعب الإيمان 7152).

ثم إن هذه الذنوب التي يستكثر منها العبد مهما كانت صغيرة فإنها إذا اجتمعت عليه وأحاطت به أهلكته كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومُحَقَّرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بَطن واد، فجاء ذا بعُود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه" (صحيح الجامع 2686).

وبالجملة فإن العبد لا ينبغي له أن يحقر ذنبا كيفما كان، فإنه لا يدري لعله يكون عند الله كبيرا، فإن لم يكن عنده كبيرا فلعله يكبر بسبب الإصرار عليه أو استحقاره أو المجاهرة به، فإن لم يكبر فلعله يجتمع مع غيره من الصغائر فيؤاخذ بها صاحبها فتهلكه. وما أروع ما قال الإمام ابن القيم حين قال ناصحا المتهاون بمعصية الله: "يا مغرورا بالأماني لُعن إبليس وأُهبط من منزل العزّ بترك سجدة واحدة أُمر بها، وأُخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وحجب القاتل عنها بعد أن رآها عيانا بملء كف من دم، وأَمَرَ بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطا بكلمة قذف، أو بقطرة سكر، وأبان عضوا من أعضائك بثلاثة دراهم، **فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه، ولا يخاف عقباها**" الفوائد 63/1.

يا مغرورا بالأماني لُعن إبليس وأُهبط من منـزل العزّ بترك سجدة واحدة أُمر بها، وأُخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وحجب القاتل عنها بعد أن رآها عيانا بملء كف من دم، وأَمَرَ بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطا بكلمة قذف، أو بقطرة سكر، وأبان عضوا من أعضائك بثلاثة دراهم، فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه، ولا يخاف عقباها

بادئ ذي بدء

بعد الأحداث التخريبية التي عرفتها الدار البيضاء تبيّن للكل أن التغرير بأبنائنا صار من السهولة بمكان، مما أوجب على المخلصين لدينهم وأمتهم ووطنهم أن لا يألوا جهدا في النصح والبيان، لذا وقياما بهذا الواجب ارتأينا أن نطرح موضوعا بات من اللازم طرقه لما لتلك الأحداث التخريبية من صلة به، ألا وهو موضوع التكفير.

فأحكام الكفر والتكفير هي من جملة الأحكام الشرعية العظيمة التي انحرف فيها كثر من الناس عن جادة الوسطية والاعتدال، وتشعبت آراؤهم فيها.

"فمنهم من أفرط، ومنهم من فرَّط، ومنهم من اعتدل" حاشية ابن عابدين 229/4؛ والفتاوي 466/12.

فكان لزاما -من باب تصحيح المفاهيم حول هذا الموضوع الجليل- أن نخصه بالبحث والمدارسة والتقرير، حتى لا يُقاد الناس بالعواطف العمياء، ولا يخدعوا بالشعارات الجوفاء، التي طالما استولت على كثير ممن ضعف علمه وألغى عقله واستسلم لعواطفه فضاع وضيع أمته.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى طرح موضوع التكفير وأحكامه كونه أصبح من "المسكوت عنه" من طرف الكثير من علماء بلدنا مما دفع العلمانيين إلى إنكار التكفير إطلاقا بدعوى أنه يمثل السبب المباشر في الأعمال التخريبية وعمليات القتل..

إلا أننا نرى أن التعتيم على هذا الموضوع ونفيه والمنع من مدارسته وتبيين أحكامه لا يخدم قضيتنا في محاربة أعمال العنف والتطرف لعلمنا أن المغرر بهم لن يسمعوا لترهات العلمانيين التي لا تزيدهم إلا نفورا وعنادا.

كما نبغي ببيان ذلك نصح الأمة، ووضع الأمور في نصابها، ليظهر لكل ذي عينين دقة ذلك وصعوبته، وأن الواجب على عموم الناس: إمساك ألسنتهم عن تكفير أعيان الناس، فذلك مزلَق خطير يحتاج إلى دقة وتحرير، ولذا أنيط شرعا بخواص أهل العلم والدين، كما سنبين إن شاء الله رب العالمين.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

توضيح المسالك إلى بيان شروط إسقاط حكم الكفر على المعين وموانع ذلك

الحلقة الثامنة

الفصل الأول

مرَّ معنا أن حكم الكفر لا نسقطه على المعين [1] إلا بعد توفر الشروط وزوال الموانع.

وبناء على ما ذكرنا من معنى الشرط والمانع، فإن وجود المانع يقتضي عدم تحقق الشرط، والعكس بالعكس، كما قرره العلماء على خلاف يذكر من بعض الأصوليين في هذه المسألة[2] وإن كان الإمام ابن القيم رحمه الله قد حكى الاتفاق على القول الأول حيث قال في بدائع الفوائد 817/4 "اتفق الناس على أن الشرط ينقسم إلى وجودي وعدمي، بمعنى أن وجود كذا شرط فيه وعدم كذا شرط فيه، **وهذا متفق عليه بين الفقهاء والأصوليين والمتكلمين وسائر الطوائف**، وما كان عدمه شرطا فوجوده مانع كما أن ما وجوده شرط فعدمه مانع.

فعدم الشرط مانع من موانع الحكم، وعدم المانع شرط من شروطه".

وعليه فمن موانع[3] إلحاق الكفر بالمعين: مانع الجهل، ذلك لأن: "كون المأمور به معلوما للمأمور أو ممكن العلم به، باعتبار قيام سبب العلم **شرط لصحة التكليف** " ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي 285/1.

والجهل يأتي بعدة معاني[4] والذي يهمنا في هذا الصدد الجهل بمعنى: "**عدم العلم** " أو "**خلو النفس من العلم** " انظر المفردات 102، واللسان 129/11.

وهذا المعنى هو المشهور والأصل في معاني الجهل المختلفة. انظر "الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه" لعبد الرزاق معاش 23.

والأدلة من الكتاب والسنة والآثار عن السلف الصالح في اعتبار الجهل **عموما** مانعا من الموانع كثيرة جدا إضافة إلى الإجماع المحكي في ذلك.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "لكن من الناس من يكون جاهلا ببعض هذه الأحكام جهلا يعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة، من جهة بلاغ الرسالة كما قال تعالى: (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)، وقال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)" الفتاوي 406/11.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني، ثم فذروني في الريح، فوالله لإن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت، فإذا هو قائم فقال: **فما حملك على ما صنعت؟** قال: يا رب خشيت، فغفر له" متفق عليه، وهو حديث متواتر انظر الفتاوي 491/2، وإيثار الحق على الخلق 43.

قال ابن القيم رحمه الله: "..وأما من جحد ذلك جهلا أو تأويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه **ولم يجحد قدر الله على إعادته عنادا أو تكذيبا**" المدارج 367/1.

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله: "**ولا خلاف** في أن امرءا لو أسلم ولم يعلم شرائع الإسلام فاعتقد أن الخمر حلال وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافرا **بلا خلاف يعتد به**، حتى إذا قامت عليه الحجة فتمادى حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر" المحلى 151/13.

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فقال: "لبيك اللهم لبيك، أعليه شيء؟ قال مالك: **إن كان جاهلا أو على وجه السفه فلا شيء عليه**" البيان والتحصيل 370/11.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، **وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل**، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر" فتح الباري 407/13.

وليعلم أن اعتبار الجهل عموما مانع من موانع إلحاق الكفر بالمعين، بل اعتبار توفر الشروط وزوال الموانع في هذا الباب **يعم مسائل الأصول**[5] -المسائل العقدية أو العلمية النظرية-، **والفروع** -المسائل العملية-.

ومن الرسائل القيمة المبينة لذلك رسالة: "سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين وبيان عموم العذر في الدارين لأصول وفروع الدين.."للسيد ابن سعد الدين الغباشي أقرها وأذن بطبعها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "الأقوال التي يكفر قائلها **قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق**، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها [6]، فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا من كان **سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الإسلام وما قسَّموا المسائل إلى أصول يكفر بإنكارها، ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها** " الفتاوي 3/345-346، وانظر 372/10 منها.

وللبحث بقية..

1- وهذا في حق من ثبت له حكم الإسلام فتذكر.

2- انظر تقريرات الشربيني على حاشية البناني 99/1، وحاشية العطار 137/1.

3- إضافة إلى الموانع المعلومة التي لا تخفى كمانع الجنون، وعدم البلوغ فتنبه.

4- انظر المفردات 102، والتعريفات 84.

5- أطلق كثير من أهل العلم عدم العذر بالجهل في مسائل الأصول، وهذا محمول كما أشار إليه الشيخ صالح بن حميد في "رفع الحرج في الشريعة الإسلامية" 230 على:

أ- ما له تعلق بإثبات حكم إسلام المرء كالشهادة بوحدانية الله، والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ب- ما علم من الدين بالضرورة، والقصد منه ما كان يشترك في العلم به عموم أفراد الأمة علماء وعامة مع استثناء في ذلك سيأتي إيضاحه وبيانه إن شاء الله.

6- وهي ما كان لها مأخذ في لسان العرب أو في العلم جملة فتنبه، أنظر الدلائل والإشارات على كشف الشبهات للأسمري.

7- وعليه فتقسيم مسائل الدين إلى أصول وفروع بهذا الاعتبار نحوه مردود. انظر الفتاوي 346/23. الصواعق المرسلة 509/5-515. معجم المناهي اللفظية 100.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

المغاربة لا دينيون في برامج الدولة

أحمد اللويزة

لا يفتر العلمانيون المتنفِّذون في البلاد يبرمجون ويخططون خارج إطار الشرعية الإسلامية التي ينتمي إليها هذا البلد، ويسعون بكل ما أوتوا من قوة للتأثير في المجتمع وتغييب الدين عن كل مناحي الحياة، صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها، حتى يُستأصل الإسلام من قلوب المسلمين ويبدو في أعينهم كوحش مخيف مقيِّد لحريات الناس يحول دون انطلاقهم نحو الحياة بكل تفتح وتحرر خال من أية قيود.

حينما يتأمل المرء في برامج الدولة التربوية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، لابد أن يتساءل: هل نحن في نظر الدولة من خلال برامجها شعب لاديني؟

اجتهاد العلمانيين في عزل المجتمع عن دينه

لا يفتر العلمانيون المتنفِّذون في البلاد يبرمجون ويخططون خارج إطار الشرعية الإسلامية التي ينتمي إليها هذا البلد، ويسعون بكل ما أوتوا من قوة للتأثير في المجتمع وتغييب الدين عن كل مناحي الحياة، صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها، حتى يُستأصل الإسلام من قلوب المسلمين ويبدو في أعينهم كوحش مخيف مقيِّد لحريات الناس يحول دون انطلاقهم نحو الحياة بكل تفتح وتحرر خال من أية قيود.

إن المتأمل في مشاريع الدولة وبرامجها يرى أنها تعامِل الشعب كأنه لا ديني ولا علاقة له بالإسلام فكيف ذلك؟!

المرجعية والواقع طلاق مفروض

مما لا شك فيه أننا شعب مسلم بالتاريخ والجغرافيا، والإسلام هو الدين الرسمي للبلد بالدستور ومرجعية الأمة المغربية هي الإسلام، هذا ما تسطر في الأوراق الرسمية، وترسخ في عقولنا واقتنعت به أفكارنا، لكن حقيقة الفعل الحاصل على أرض الواقع بكل تجلياته يعبر بنفسه عن الاستهتار بدين ثلاثين مليون مسلم أو أكثر.

فتعالوا إلى أرض الواقع لتروا التناقض الصارخ والطلاق البائن بين ما هو مسطر وما هو مفعَّل.

فالقانون المغربي يمنع المسلمين المغاربة من المتاجرة في الخمر وشربها، بينما شريحة كبيرة منهم تشربه على مرأى ومسمع من الجميع.

..القانون المغربي يمنع نشر الصور الخليعة ومعظم الجرائد والمجلات والقنوات الإعلامية واللوحات الإشهارية تطفح بوابل من هذه الصور المهيجة للغريزة الجنسية.

..القوانين المالية والجبائية مبني من أساسه على المعاملات الربوية، والقائمة تطول.

إنه أمر يجعل المرء الذي لا يعرف عن المغرب إلا حاضره يظن أن ما قيل آنفا من اعتبار الإسلام الدين الرسمي للبلد والمرجعية العليا للأمة إنما هو عن شعب انقرض ولم يعد له أثر في الوجود.

واقعنا بنظرة عابرة يقول لك إن تجليات الإسلام في هذا البلد تراث ولى بقيت له أطلال، غير أن رياح الإيمان والحمد لله بدأت توقظ العيون النائمة، وتحرك القلوب الغافلة، وتبعث النور من جديد رغم ما يكيد الأعداء.

لقد كان من اللازم على الدولة وهي تتبنى الإسلام رسميا أن تكون برامجها خادمة للإسلام ومشجعة للمسلمين على أن يتمسكوا بدينهم للخلاص من رياح التغريب العاتية، وحفاظا على الهوية من الهاوية ولكن وا أسفاه! فخذ أي ظاهرة مرضية - وما أكثرها في المجتمع الذي قلنا إن مرجعيته إسلامية- عالجتها الدولة وأي مشروع تنموي طرحته على أرض الواقع وأي مقاربة تنموية، وانظر ما مدى اعتماد المرجعية الإسلامية التي يتشدق بها في بعض الأحيان لغرض من الأغراض، ففي كل ذلك لا تكاد تعثر على شيء من هذا إن لم تجد شيئا. فلا شيء يربطك ولو بخيط من الأوهام ويجعلك تشعر بأن دينك حاضر في حل مشاكلك وتقويم اعوجاجك، ولو بنسبة ذر الرماد في العيون.

برامج تغيب الإسلام وتتبنى غيره

هذا ديدن المسئولين عن قيمنا ومبادئنا ففي كل خطوات المعالجة أو مراحل التنمية يغيبون الإسلام كلية، وكأن هذا الشعب ليس مسلما ولا دين له لكن ويا للحسرة! ففي مقابل ذلك يستوردون حلولا عن قوم لا دين لهم أو أهل دين محرف، ومع ذلك يتبنونها بغباء في الإسقاط و جفاء للإسلام. ولذلك لم تحل مشاكل المجتمع على كثرة الحلول المستوردة لكون البذر غير البذر والتربة غير التربة، وهكذا تتمادى الدولة أو جهات نافذة في احتقار الإسلام والمسلمين من خلال معالجة القضايا بنظريات غربية ليبرالية أو شرقية شيوعية إلحادية محضة.

وبالتحديد نضرب مثالا ببرنامج تعرضه القناة الأولى المغربية يقال له "**أسر وحلول**" ومن تابع حلقات هذا البرنامج يخلص إلى النتيجة التي صدرنا بها المقال، ويحكم على البرنامج بأنه في حدِّ ذاته مشكل يحتاج إلى حل بدء بمن يقدمه والذي يفتقد إلى مهارة التقديم، وختاما بالضيوف الذين يحلقون بأفكارهم خارج المكان الذي يوجدون به والأرضية التي ينطلقون منها.

فكل القضايا التي عالجها هذا البرنامج والتي تيسر لي متابعة أجزاء منها -لأقف على مهازلها- تنحو نفس المنحى اللهم في برنامج يتعلق بقضايا الإرث، فقد تم استضافة فقيه ليقول ما يريدون، ولو استطاعوا أن يغيبوه لفعلوا.

في هذا البرنامج وأمثاله الكلمة الفصل للأطباء النفسانيين ورجال القانون وعلماء الاجتماع الغارقين في نظريات فلسفية مادية من أمثال "داروين" و"فرويد" و"هيكل" و"ديكارت"... وكأننا فقدنا من قومنا من يحل لنا المشاكل انطلاقا من مرجعية الكتاب والسنة المنزلة من رب العباد "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ".

برنامج تحلق فيه مقدمته في سماجة لتستنجد بقصص من عالم الخيال أبدعها قوم لا علاقة لهم بالإسلام لتجد لنا الحلول هناك ولكن هيهات، هيهات.

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ
والماء على ظهورها محمول

ولمزيد من التوضيح وحتى لا يتطرق لما قلنا أي اعتراض تم تناول موضوع في غاية الخطورة في حلقة من الحلقات، ولا يوجد له حل إلا في الإسلام ولا شيء غير الإسلام، و لكن انظروا ما كان صنيعهم مع هذا الأمر احتقارا لهذا الشعب المسلم رغما عنه، فقد كان الموضوع "**الإدمان على الخمر وخطره على المجتمع**" وقد عمدوا إلى أخذ أراء الشارع، وحرصوا على أن لا يمرِّروا أي تصريح يتطرق لحكم الإسلام وكيف عالج القضية لا من قريب ولا من بعيد، ونحن موقنون أنه من المواطنين من تكلم عن حكم الشرع في الخمر، ولكن مقص الرقيب كما يقولون تدخل بقوة ليجرد الأمر من أي صبغة شرعية، حقدا وبغضا.

بل إن ضيوف البرنامج لم يكن فيهم عالم شرعي والمغرب حافل بعلماء الشرع، وأما الضيوف الحاضرون كأنما أخذوا تحذيرا قبل البدء أن لا يذكروا كلمة الإسلام على لسان أحدهم، وأن يتكلم من منطلق مشاكل اجتماعية حلولها عند الطبيب والفيلسوف.. ولا يضرنا ذلك إذا عرفنا من يتحكم في هذا الجهاز فالأمر لا يخفى على لبيب.

صمت رهيب متى ينتهي؟

إن المسؤولين عن وسائل الإعلام يحتقرون ديننا ويئدون مرجعيتنا ويعتبروننا لا دينيين أو يسعون لكي نكون كذلك، فإلى متى يتم التمادي في هذا الباطل. أحيانا تعييهم نظرياتهم الفاشلة في معالجة بعض القضايا فيعودون مكرهين على استحياء إلى الإسلام لينقذهم من ورطتهم، كما هو الشأن بالنسبة لمعضلة حوادث السير والحرائق في الغابات مثلا...

إنها مهزلة ينبغي أن تنتهي في دولة يحكمها الإسلام على مدار خمسة عشر قرنا، ينبغي أن يعود الإسلام إلى تفاصيل الحياة في بلد أمير المومنين، والمجالس العلمية، والرابطة المحمدية، والصروح التعليمية، وجحافل العلماء، هل كل هذا للزينة والبهرجة، أم للمباهات والافتخار.

ينبغي أن يصرخ العلماء وتقف المؤسسات الشرعية في وجه الباطل الذي يلتهم ما تبقى من ديننا فإن لم يتكلم العلماء فمن يتكلم، وإن لم ينتفض العلماء من أجل هذا الدين فسلام على المرسلين والحمد لله رب العامين، لكننا نقول أن الخير لن يعدم في هذه الأمة و الله من وراء القصد.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

من أشراط الساعة التماس العلم عند الأصاغر

"الأصاغر الذين يقولون برأيهم، فأصغر يروي عن كبير فليس بصغير"

رشيد مومن الإدريسي

مما أصاب العلم في آخر الزمان تصدر الأصاغر له وتلقي الناس عنهم، والتماسه منهم كما في الحديث عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال: "إن من أشراط الساعة ثلاثا: إحداهن: أن يلتمس العلم عند الأصاغر.." رواه ابن المبارك في الزهد وهو في صحيح الجامع.

وهذا الحديث سيق للتحذير من أخذ العلم والتماسه من غير أهله لأنه من تضييع الأمانة ولذلك قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله عليه الصلاة والسلام: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال السائل: كيف إضاعتها؟ قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"، قال: "ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط ومقتضاه أن العلم ما دام قائما ففي الأمر فسحة وكأن المصنف (أي: البخاري) أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر، تلميحا لما روي .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر)".

وعن عمر رضي الله عنه قال: "آلا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ولم يقم الصغير على الكبير فإذا قام الصغير على الكبير فقد" أي: هلكوا. جامع بيان العلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كبرائكم فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير" نفسه.

والأصاغر في الحديث السابق ذكره اختلف فيهم على أقوال عدة:

أولا: أنهم أهل البدع، قال عبد الله بن المبارك: "أتاهم العلم من قبل أصاغرهم يعني: أهل البدع" حاشية كتاب الزهد تحقيق الأعظمي وانظر فيض القدير 676/2.

ثانيا: أن المراد بالأصاغر أن يؤخذ العلم عمن بعد الصحابة ممن يقدم رأيه على رأيهم.

قال أبو عبيد: "والذي أرى أنا في الأصاغر أن يؤخذ عمن كان بعد أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم ويقدموا ذلك على رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمهم، فذلك أخذ العلم عن الأصاغر" جامع بيان العلم.

ثالثا: أن الأصاغر هم الذين لا علم عندهم، فقد نقل ابن عبد البر رحمه الله عن بعض أهل العلم أنهم قالوا في الصغير: الذي يستفتى ولا علم عنده ولو كان كبير السن وأن الكبير هو العالم في أي سن كان، انظر جامع بيان العلم.

ويشهد لهذا القول قوله عليه الصلاة والسلام كما في البخاري: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

قال الحافظ في الفتح164/1: "في هذا الحديث الحث على حفظ العلم والتحذير من ترئيس الجهلة وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية وذمَّ من يقدم عليها بغير علم".

وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير عند شرح قوله عليه الصلاة والسلام: "البركة مع أكابركم" الصحيحة: "..وقد يكون الكبير في العلم أو الدين فيقدم على من هو أسنُّ منه".

رابعا: أن المراد بالأصاغر من كان صغير السن، وهذا إذا استقل باستنباط الأحكام والفتيا، وإلا إذا كان ينقل عن العلماء والأكابر بالفهم السديد فإنه يحمد ولا يذم، سئل ابن المبارك رحمه الله: "من الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأصغر يروي عن كبير فليس بصغير" الزهد له 260.

والذي يظهر أن سائر هذه الأقوال صحيحة باعتبارات معينة ظاهرة ولذا فهذا الاختلاف من باب اختلاف التنوع والله أعلم.

إشاعة روح التفاؤل

"بشر هذه الأمة بالسَّناء و الدين و الرِّفعة و النَّصر والتمكينِ في الأرض.."

من العوامل الناجعة عند حلول الفتن وظهور المحن وفشوِّ الإحن: إشاعة روح التفاؤل فإن ذلك مما يبعث الهمة، ويدعو إلى اطراح الخوَر والكسل، ويقود إلى الإقبال على الجد والعمل. قال عليه الصلاة و السلام: "الإسلام يعلوا ولا يعلى" صحيح الجامع.

فلنثق بالله عز وجل ونصره وتأييده، ولنحذر من كثرة التلاوم، وإلقاء التبعات على الآخرين، ولنحذر من القنوط واليأس، والتشاؤم؛ فالإسلام لا يرضى هذا المسلك بل يحذر منه أشد التحذير.

فقد حدَّث النبي عليه الصلاة و السلام عن ثلاثة أصناف من الناس لا خير فيهم: "ثلاثة لا تسأل عنهم.. ورجل في شكٍّ من أمر الله والقنوط من رحمة الله" صحيح الجامع.

ولذلك فإن الأمة التي نخرَها الشك ونهشها القنوط لا يرجى خيرها ما لم تستعد الثقة و اليقين بنصر رب العالمين، ولا يضرنك ظهور أهل الباطل على أهل الحق فإن ظهورهم عارض امتحانا للمؤمنين، وبعدها العاقبة للمتقين.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فَمَنْ كَانَ قِيَامُهُ فِي بَاطِلٍ لَمْ يُنْصَرْ، وَإِنْ نُصِرَ نَصْرًا عَارِضًا فَلَا عَاقِبَةَ لَهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ مَخْذُولٌ" إعلام الموقعين.

ثم لنثق بأن في طيِّ هذه المحن منحاً عظيمة.

كم نعمة لا تستقل بشكرها   لله في طي المكاره كامنة

فقد بشر رسول الله عليه الصلاة والسلام ببُشريات تذيب كل يأس، وتدفع كل قنوط، وتثبت كل صاحب محنة، وتريح قلب كل فاقد للأمل حين لا يجد بصيص أمل له من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة و النصر والتمكين في الأرض.." صحيح الجامع.

ولو لم يأت من هذه الفتن والمحن إلا أن الأمة تصحو من رقدتها، وتعود إلى ربها ودينها.

ولو لم يأت من ذلك إلا أن هذا الجيل الجديد بدأ يعرف أعداءه، ويطرق سمعه مسائل الولاء والبراء، ويدرك ما يحاك حوله من مؤامرات، ويشعر بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولو لم يأت من ذلك إلا أن المسلمين صاروا يشعرون بروح الجسد الواحد، ويتعاطفون مع إخوانهم في كل مكان، ويحرصون على تتبع أخبارهم، وتقديم المستطاع لهم، كلُّ ذلك مع ما يواجهونه من التضليل الإعلامي، وما يحاربون به من سيل الشهوات العارم لكفى.

فكثيرا من أهل الإسلام على درجة من الوعي والإدراك، والسعي في مصالح إخوانهم، والمؤمل أكثر من ذلك، وإنما المقصود أن يُبيَّن أن الخير موجود، وأنه يحتاج إلى مزيد.

وبالجملة فإن التفاؤل دأب المؤمن، وهو سبيل التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً في وقت اشتداد المحن؛ وليس أدل على ذلك مما كان في غزوة الأحزاب بالمدينة، وبلغت القلوب الحناجر، ومع ذلك كان عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه بمفاتيح الشام، وفارس، واليمن. انظر مسند الإمام أحمد 203/4، وسنن النسائي الكبرى (8858).

وإذا تُحدث عن الفأل، والحث على نشره فإن ذلك لا يعني القعود، والخمود، والهمود؛ كحال من يؤملون الآمال العِراض، ويفرطون في الأماني بحجة أن ذلك من الفأل، وهم كسالى قاعدون، لا يتقدمون خطوة، ولا ينهضون من كبوة.

لا ليس الأمر كذلك؛ بل إن الفأل المُجدي هو ذلك الذي يحرك صاحبه، ويبعثه على الجد، ويشعره بالنجاح، ويقوده إلى إحسان الظن، وإلى العمل و العلم.

قال عليه الصلاة و السلام: "صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل" صحيح الجامع.

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

الاحتمال المعتبر في الخلاف الذي له حظ من النظر

"الاحتمال المعتبر إنما هو الاحتمال المساوي المقارب، وأما المرجوح فلا"

"وترك ظاهر الأخبار بأن يكرر "لعلّ" في كلامه وقلّ شيء إلا وهو يحتمل "لعلّ" وترك ظاهر الأخبار غير جائز للعلّ"

مما هو معلوم في باب فقه الاختلاف بين العلماء أن القول إذا احتمله الدليل، وقال به عالم جليل، فلا إنكار ولا تضليل، وهذا ما يعرف بالخلاف السائغ الذي له حظ من النظر كما قال أحدهم: ليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلاف له حظ من النظر ومع تقرير البعض لذلك من جهة التنظير والتأصيل إلا أن الواقع يشهد بأن فهمهم وتصورهم لذلك باطل وعليل.

ولو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهره إلى معنى باطن يحتمله كان أكثر الحديث يحتمل عددا من المعاني، ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجة على أحد ذهب إلى معنى غيره

ووجه ذلك توسعهم في قضية احتمالية الأدلة للقول أو الاعتقاد، فصار الاعتماد في كثير من المسائل على مجرد الاحتمال حتى خرجوا بذلك إلى مذاهب بعيدة خالفوا فيها المألوف عند الفقهاء من طرق الاستنباط وقواعد الاستدلال، فالقضية تكمن في صحة الاستدلال والتدليل لا في مجرد الاستناد إلى الدليل فإنك "لا تجد مبتدعا ممن ينتسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعة بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته" الاعتصام 134/1.

وعليه فيجب النظر في ذاك الاحتمال صحة وبطلانا وقربا وبعدا فإن "الأصل عدم..الاحتمال البعيد" (أضواء البيان 396/3)، بل هو أصالة مردود غير سديد، انظر على سبيل المثال لا الحصر: الفتح 80/1، وشرح مسلم للنووي 134/4، وتحفة الأحوذي 274/1، ونيل الأوطار 235/4.

فالاحتمالات البعيدة هي في حكم النادر أصلا "والنادر لا حكم له" (المدارج 451)، و"إذا فتح أورث الاضمحلال لكل ما يعول عليه في الاستدلال" (الجرح والتعديل للقاسمي 36).

فالواجب إذن التمسك بالنصوص الشرعية وطرح الاعتماد على كل احتمال بعيد فهذا الأخير أشبه بالأوهام والخيالات والتلاعب في الحقائق الواضحات.

فترك السنة ودفعها بمجرد الاحتمالات خطأ ظاهر إذ الاحتمالات واردة في كل شيء ولو عُمل بها لضاعت الأمور.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "مجرد الاحتمال إذا اعتبر أدى إلى انخرام العادات والثقة بها، وفتح باب السفسطة وجحد العلوم ويبين هذا المعنى في الجملة ما ذكره الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال بل ما ذكره السوفسطائية في جحد العلوم، فبه يتبين لك أن منشأها تطريق الاحتمال في الحقائق العادية أو العقلية فما بالك بالأمور الوضعية.

ولأجل اعتبار الاحتمال المجرد شُدِّد على أصحاب البقرة إذ تعمقوا في السؤال عما لم يكن إليه حاجة مع ظهور المعنى وكذلك ما جاء في الحديث في قوله: (أحجُّنا هذا لعامنا أو للأبد) وأشباه ذلك.

بل هو أصل في الميل عن الصراط المستقيم، ألا ترى أن المتبعين لما تشابه من الكتاب إنما اتبعوا فيها مجرد الاحتمال فاعتبروه وقالوا فيه وقطعوا فيه على الغيب بغير دليل فذمُّوا بذلك وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بالحذر منهم" الموافقات 402/5.

وقد يقول البعض إن هذا الكلام منزل على الأخذ بمجرد الاحتمال في مقابلة النص بالمعنى الخاص عند الأصوليين وهو الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا وأما إذا كان بخلاف ذلك فالأمر فيه سعة، فنقول: هذا الإطلاق باطل لأنه من أنواع الدلائل الشرعية ما يسمى عند علماء الأصول بالظاهر وهو: "ما احتمل معنيين فأكثر، هو في أحدهما أرجح، أو ما تبادر منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره" انظر روضة الناظر 29/2.

وحكمه: أن يُسار إلى المعنى الظاهر ولا يجوز العدول عنه إلا بدليل أقوى منه يدل على صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى الاحتمال المرجوح وهذا ما يسمى بالتأويل عند المتأخرين، مع العلم أنه إذا لم يقم الدليل على ذلك فهو تأويل فاسد.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "القرآن عربي كما وصفت، والأحكام فيه على ظاهرها وعمومها ليس لأحد أن يحيل منها ظاهرا إلى بطن ولا عاما إلى خاص، إلا بدلالة من كتاب الله فإن لم تكن فسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تدل على أنه خاص دون عام أو باطن دون ظاهر أو إجماع من عامة العلماء الذين لا يجهلون كلهم كتابا ولا سنة، وهكذا السنة **ولو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهره إلى معنى باطن يحتمله كان أكثر الحديث يحتمل عددا من المعاني، ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجة على أحد ذهب إلى معنى غيره**، ولكن الحق فيها واحد لأنها على ظاهرها وعمومها إلا بدلالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قول عامة أهل العلم بأنها على خاص دون عام، وباطن دون ظاهر، إذا كانت إذا صرفت إليه عن ظاهرها محتملة للدخول في معناها" مختلف الحديث للشافعي 27/7-28 بهامش كتاب الأم.

وقال الإمام ابن المنذر فيمن ترك ظاهر الأخبار واعتذر بـ"لعل": "**ترك ظاهر الأخبار بأن يكرر لعلّ في كلامه وقلّ شيء إلا وهو يحتمل لعل وترك ظاهر الأخبار غير جائز للعل**" الأوسط 226/11.

وقال الحافظ رحمه الله: "الأحاديث الصحيحة لا تدفع بالاحتمالات العقلية، والظن الذي لا مستند له" الفتح 812.

وقال الألوسي رحمه الله في معرض كلامه عن اسقاط الاستدلال بحديث لقيام احتمال مخالف للظاهر: "**ومثل هذا الاحتمال إن قدح في الاستدلال لا يبقى على وجه الأرض دليل**" تفسير الآلوسي 107/1.

وقد عدّ الأخذ بمجرد الاحتمال وطرح ظواهر النصوص من المتشابه الذي قال الله عنه: "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله".

قال البيضاوي رحمه الله: "(وأخر متشابهات) محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو **مخالفة ظاهر**.." تفسير البيضاوي 319/1.

ولأجل ذلك كله قرر العلماء رحمهم الله أن "المحتمل الذي تقوم به حجة هو الذي يتطرق إليه احتمال معقول، أو تأول مقبول جار على قوانين التأويلات، والأوجه المعروفة في نظائره، وأما احتمال في مقابلة حقيقة ثابتة وأمر واضح فلا يقال له احتمال وإنما هو تلاعب وهوس خيال" الجرح والتعديل للقاسمي 37-38.

وقال القرافي رحمه الله: "**الاحتمال المعتبر إنما هو الاحتمال المساوي المقارب، وأما المرجوح فلا**" الفروق 227/1 مختصره.

قال القرافي رحمه الله: "الاحتمال المعتبر إنما هو الاحتمال المساوي المقارب، وأما المرجوح فلا"

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "كل احتمال لا يستند إلى أمارة شرعية لم يلتفت إليه" الفتاوي 185/4.

ومنه فإن الخلاف المعتبر الذي تحتمله الأدلة هو ما كان قائما على احتمال مساو مستند إلى أدلة شرعية وقواعد مرعية يراعى فيه السياق وفهم السلف الصالح.

قال الشاطبي رحمه الله: "محال الاجتهاد المعتبر هي ما ترددت بين طرفين، وضح في كل واحد منها قصد الشارع في الإثبات في أحدهما والنفي في الآخر، فلم تنصرف البتة إلى طرف النفي ولا إلى طرف الإثبات" الموافقات 155/4.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

{نور من القرآن والسنة يتخلل واقع الأسرة المظلم في مجتمعنا المغربي..}

فقه الزواج

(الحلقة الرابعة)

نحو أسرة تبني مجتمعها

حماد القباج

لقد تحدثنا طيلة الحلقتين السابقتين عن العشرة الزوجية من حيث ما يجب على الزوج وما يستحسن منه في هذا الباب، انطلاقا من توجيهات الكتاب العزيز والسنة الغالية، والتي جعلنا أصلا لها؛ قول الله تعالى: {**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**} (النساء 19).

ونخصص هذه الحلقة لذكر ما اشتمل عليه ذلكم المعين الصافي والرقراق الوافي من توجيهات للمرأة المسلمة في عشرتها لزوجها؛ وننطلق في هذا الموضوع من أصل الباب؛ وهو قول الله عز وجل: {**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**} (النساء 34).

تفسير الآية

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يعني بقوله جل ثناؤه: "فالصالحات"، المستقيمات الدين، العاملات بالخير.. وقوله: "قانتات"، يعني: مطيعات لله ولأزواجهن، وقد بينا معنى "القنوت" فيما مضى وأنه الطاعة، ودللنا على صحة ذلك من الشواهد بما أغنى عن إعادته.. وأما قوله: "حافظات للغيب"، فإنه يعني: حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن، في فروجهن وأموالهم، وللواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره..

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**خيرُ النساء؛ امرأةٌ إذا نظرت إليها سرَّتك، وإذا أمرتَها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك**".

قال: "وأما قوله: "بما حفظ الله"، فإن القرأة (أي القراء) اختلفت في قراءته؛ فقرأته عامة القرأة في جميع أمصار الإسلام: (بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)، برفع اسم "الله"، على معنى: بحفظ الله إياهن إذ صيَّرهن كذلك". [تفسير الطبري (8/296)].

من فقه الآية

وهذا التوجيه القرآني ينطوي على فوائد:

منها: أن الزوجة المطلوبة في الأسرة كما يريدها القرآن؛ هي الزوجة الصالحة.

ومنها: أن صلاح المرأة في هذا الباب يرجع إلى أمور ثلاثة: الاستقامة على الدين (طاعة الله سبحانه)، وطاعة الزوج، والأمانة.

الصفات الأساسية في المرأة الصالحة

أما (الاستقامة على الدين)؛ فأساس كل صلاح، لأنها مبنية على الخوف من الله وخشيته سبحانه، وهذا يورث صاحبه رقيبا على سلوكه من نفسه، يحمله على أداء الحقوق، والقيام بما تقتضيه المسؤولية، ولو لم يهدده قانون بعقوبة، أو يتوعده شخص بانتقام.

وأما (طاعة الزوج)؛ فأدب عظيم قلَّ من يفقه سرَّه ويدرك حكمته:

وذلك أن من الفروق بين الرجل والمرأة؛ الفرق بينهما في كثير من الصفات الذاتية المؤثرة على السلوك ومستلزماته، وإن من صفات الأنوثة الفطرية: اللين والسهولة، وهاتان صفتان تورثان سلوك (المطاوعة)، وذلك كله عند المرأة مصدر قوة في معاملتها للغير وتأثيرها في الآخر؛ إن في الخير وإن في الشر، فناسب أن تستثمر الحقيقة المذكورة في إنجاح الرابطة الزوجية، وتوظيفها لتحقيق السعادة الزوجية.

وغير خاف أثر هذا السلوك على الزوج الصالح؛ حيث يملأ قلبه حبا وتعلقا بهذه الزوجة، بل يصير معها -بسببه- كالجمل الأنِف حيثما انقيد انقاد، ولو أرادت نيل ذلك بالشدة لرجعت بخفي حنين، ولخلقت جوا من الصراع يولد إعصارا يعصف بالحياة الزوجية ويقوض دعائم الكيان الأسري..؛ وسبب ذلك؛ أنها بسلوكها المنحرف عن التوجيه الشرعي؛ تستثير ما تنطوي عليه طبيعة الرجل، من الشدة والبأس، التي سرعان ما تورثه سلوكا يطبعه العنف وتهيمن عليه الغلظة والقسوة، فيصير أشبه بالبعير الشموس، الذي يضمر الحقد ويبطش متى تمكن...

ونطالع بهذا الصدد -بالإضافة إلى الآية الكريمة والحديث الذي ساقه الطبري في تفسيرها- قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**". [رواه أحمد وصححه الألباني].

الطاعة مقيدة وليست مطلقة

وبما أن هذا التوجيه مقيد بالمعروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إنما الطاعة في المعروف**" [متفق عليه].

فإن هذا التقييد؛ يسد الباب في وجه من سولت له نفسه الأمارة بالسوء؛ استغلال هذا الأدب للإضرار بالمرأة نفسيا أو ماديا، فإن الطاعة حينئذ تخرج عن مجال المعروف وتنحرف عن أهدافها النبيلة ومقاصدها الجميلة.

بين الطاعة والمشاورة

ومما يتعين توضيحه؛ أن أدب طاعة الزوجة لزوجها في المعروف لا يلغي أدب التشاور بينهما، وقد قال الله تعالى:

{**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**} (البقرة 233).

فأرشد الزوجين إلى التشاور لاتخاذ قرار فطام الرضيع، وظاهرٌ أن غيره من القرارات مثله أو أولى منه بهذا الحكم.

وإنما تظهر المصلحة في أدب الطاعة؛ عند الحاجة إلى الحسم في ما اختلف فيه مما لم يرد فيه نص شرعي، فلا بد حينئذ من اتخاذ الزوج قرارا تتوحد فيه كلمة الأسرة وموقفها، بحكم قوامته التي تتناسب مع طبيعة وظيفته وحجم مسؤوليته.

وأما (الأمانة)؛ فشرط في الاستقرار النفسي، وسلامة البال من الأوهام والشكوك التي تعذب النفس وتورث القلق والاضطراب.

وكيف يسعد زوج لا يأمن زوجته على عرضه وماله وولده؟!

قطوف من السنة

وننتقل بعد هذا إلى ذكر قطوف من السنة النبوية، تؤكد دلالة الآية وتزيدها توضيحا:

عن عبد الله بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها**". [السلسلة الصحيحة].

وعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الحاجة فقال: **أي هذه؛ أذات بعل؟** قلت: نعم، قال: **كيف أنت له؟** قالت: ما آلوه، لا أقصر في حقه إلا ما عجزت عنه، قال: **فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**". (رواه أحمد وقال المنذري: إسناده جيد).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، وتقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى**".[السلسلة الصحيحة].

فلتحرص المرأة على هذه التوجيهات النبوية الحكيمة في معاملة زوجها؛ فتطيعه في المعروف، وتحفظ ماله، وتصون عرضه، وتتعاون معه على خيري الدنيا والآخرة.

ولتحذر أن تكلفه ما لا يطيق؛ فإن في ذلك مفاسد وأضرارا؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ ما تكلف امرأة الغني**" [الصحيحة].

همسة

..وبعد؛ فتلك معالم أخرى من القرآن والسنة، في الطريق إلى أسرة تبني مجتمعها، أختم الكلام فيها بهمسة في أذن المرأة:

احذري مما ينشره دعاة التغريب في زماننا هذا من الأفكار والمبادئ، التي تهدد استقرار الأزواج، وتزج بالأسرة في أوحال الصراع والتنافس المدمرين، ولا تغتري بما يرفعون لخداع الناس من شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب؛ كشعار المساواة ورفع التمييز ضد المرأة..

واعلمي أن في هذه الرياض العطرة صولات وجولات مع تلك المبادئ، لكشفها وتزييفها في ضوء نصوص الوحي وأحكام الشريعة الغراء؛ {**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**} (البقرة 251).

الرجـلـة أو "الجـنـدر"

(من مظاهر غلو الحركة النسوية المتطرفة)

لما ظهرت (الحركة النسوية) في القرن الثامن عشر؛ كانت تطالب في أول الأمر ببعض حقوق المرأة كالتعليم وحق العمل، ثم أصبحت تطالب بحق المرأة السياسي، وأخيراً أصبحت تنادي بالمساواة التامة مع الرجل في جميع مجالات الحياة، واعتبار العلاقة مع الرجل علاقة تنافس وتضاد، ونتيجة لذلك أصبحت هذه الحركات تنادي بالحرية التامة للمرأة، ومن ذلك دعوى ملكية المرأة لجسدها، وحقها في إقامة علاقات جنسية مع بنات جنسها.

بين المساواة والعلم

إلا أن الحركة اصطدمت بالحقائق العلمية التي تبطل نظرية (المساواة المطلقة)، وتؤكد ما قررته وأمرت به الشريعة الإلهية من (المساواة العادلة)، تلك الحقائق التي أبرزها كثير من علماء الغرب ومفكريه من الرجال والنساء، واستفاضت بها أبحاثهم ومؤلفاتهم، والتي يمكن أن نلخصها في قول (هيلين أندلين)؛ الخبيرة في شؤون الأسرة الأمريكية:

"إن فكرة المساواة -التماثل- بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية، وقد ألحقت أضراراً جسيمة بالمرأة، والأسرة، والمجتمع".

نظرية "الجندر"

هذه الحقيقة وما تستلزمه لم ترق أرباب دعوة المساواة، ومعلوم من سلوكهم ومواقفهم؛ أن المقررات الشرعية والحقائق العلمية لا تقف أمام أهوائهم ورغباتهم، ولذلك حاولوا معارضتها بمثل ما عارض به (شارلز داروين) حقيقة الخَلْق ودلالته على الخالق؛ وفي هذا السياق وضعوا نظرية مفادها: أن الفروق بين الجنسين خاضعة لمنطق التطور وليست من أصل الخلقة، وبنوا على ذلك أن لكل إنسان الحق في اختيار جنسه أو رفضه!

وقد أطلقوا على هذه النظرية اسم: (الجندرGender)

وإذا كان علماء الغرب الذين أشربوا الإلحاد في قلوبهم يجتهدون في إثبات نظرية (داروين) وجعلها حقيقة علمية مع أن العلم قد أبطلها وهدمها؛ فإن أصحاب نظرية (الجندر)، لا يفتئون يجتهدون في جعل نظريتهم حقيقة اجتماعية، مع أنها مناقضة للفطرة التي لا ينبغي تبديلها!

ولتحقيق هذا الهدف؛ ظهر استخدام مصطلح (الجندر) في مؤتمر السكان بالقاهرة عام 1994م.

وفي مؤتمر "بكين" للسكان الذي عقد عام 1995م تم التركيز بشكل مكثف على استخدامه؛ باعتباره أساس الدعوة إلى إلغاء كافة الفوارق التي من شأنها أن تنتقص من حقوق المرأة، أو التي تعطي الرجل حقوقا أكثر من المرأة، وركز المؤتمر على أن طرح فكرة المساواة بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بالحصول على الحقوق وممارسته الأدوار الوظيفية داخل المجتمع؛ إنما يتبلور من خلال استخدام مصطلح (الجندر)!

ولست في حاجة لبيان أن الحركة النسوية في البلاد الإسلامية تتبنى النظرية، وتدعو إليها!!

لقد شكلت هذه السوءة الفكرية؛ -ولا تزال- أساسا (إيديولوجيا) لكثير من الأفكار والممارسات الخطيرة المناقضة للفطرة والطبيعة الإنسانية، والمدمرة للأخلاق والفضيلة، والتي انتشرت في المجتمعات انتشار النار في الهشيم...

الرجلة و"الجندر"

ولما وقفت على هذه النظرية وما يراد منها؛ خطر ببالي حديث نبوي لفظه: "لعن الله الرجلة من النساء".

وشككت في صحة هذا الحديث لعدم علمي -وقتئذ- بصحة مثل هذا التعبير: (الرجلة) في العربية.

لكن الشك تبدد حين وقفت على تصحيح علماء الحديث له؛ ومنهم الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله.

وهذا الثبوت قادني إلى التأمل في هذا اللفظ وفي سر التعبير به دون غيره من الألفاظ التي تؤدي المعنى ذاته، والحالة أن المعبر به هو أفصح من نطق بالضاد؛ صلى الله عليه وسلم. فخطر ببالي أن النكتة البلاغية تكمن في الإيجاز والاختصار، فهذا اللفظ أوجز من لفظ: "مترجلة" أو "متشبهة بالرجال"، أو نحوهما من الألفاظ ..

تعبير بليغ عن واقع أوغل في الغلو

إلا أنني وجدت نفسي مشدودة إلى معنى آخر تبلور في ذهني، فعبرت عنه بما يلي:

إن درجة الانحراف التي وصل إليها بعض البشر في هذا الباب؛ وعلى رأسهم: (الحركة النسوية) المتطرفة، ومن وراءها ومن يسبح في فلكها؛ وصلت إلى حد لا يناسبه إلا مثل هذا التعبير.

وممارساتهم وما يؤطرها من الفلسفات والنظريات لا يكفي أن توصف بأنها تشبه من النساء بالرجال أو تمني النساء ما اختص به الرجال أو حسد المرأة للرجل؛ بل إنها تحتاج إلى وصف أدل على الواقع، وليس أدل عليه في نظري؛ من وصف: الرجلة، الذي يوحي بأن هذا النوع من النساء رفض أنوثته إلى درجة أن تبرم من اسم الأنوثة، وغلا في الرغبة في تقليد الرجل إلى حد اقتضى وصفه باسم الرجل، مع تاء مربوطة تدل على الأصل الذي طرأ عليه الانحراف!

الحكم الشرعي

وقبل أن أسلط الضوء على الوعيد الذي جاء به الشارع الحكيم في حق أمثال هؤلاء؛ أبرز موقف الشريعة الغراء من مجرد تمني أحد الجنسين ما اختص به الآخر:

قال الله تعالى: "**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**" (النساء 32).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: "وذُكر أن ذلك نزل في نساءٍ تمنين منازلَ الرجال، وأن يكون لهن ما لهم، فنهى اللهُ عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأمانيّ تورث أهلها الحسد والبغي بغير الحق".

قال محمود شاكر رحمه الله: "وَفَرْقٌ بين أن تحيا أمة رجالًا ونساءً حياة صحيحة سليمة من الآفات والعاهات والجهالات، وبين أن تُسقطَ الأمةُ كل كلَّ حاجز بين الرجال والنساء، ويصبح الأمر كله أمر أمانٍ باطلة، تورث أهلها الحسد والبغي بغير الحق".

وكما نهى الشارع الحكيم عن تمني النساء ما اختص به الرجال والعكس، فقد نهي عن سعي أحد الجنسين في التشبه بالآخر، ولو على مستوى اللباس:

عن أبي هريرة قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل.[رواه أحمد وصححه الألباني].

واللعن هو الطرد من رحمة الله، وهذا يدلك على مبلغ الضلال الذي وصل إليه أولئك الذين تُوعدوا بمثل هذا الوعيد ..

من حكمة الحكم

وإذا أردنا أن نقف على وجوه من الحكمة التي اشتمل عليها ذلكم الحكم الشرعي (تحريم التمني والتشبه)؛ فإننا لا نحتاج إلى كبير عناء لمعرفة أن القافلة الإنسانية لن تسير سيرا صحيحا إلا إذا تميز الرجل عن المرأة وتميزت المرأة عن الرجل؛ فهذا التميز ضروري للتكامل الوظيفي بين الجنسين..

ولو لم يكن ذلكم التمايز حاجة ضرورية للمجتمع الإنساني لما كانت ثمة حاجة إلى خلق نوعين من جنس واحد؛ ولقد قرب أحد العلماء هذا المعنى بقوله: "وإذا نظرنا إلى جنس انقسم إلى نوعين فيجب أن نقول إنه لم ينقسم إلى نوعين إلا لأداء مهمتين، وإلا لو كانت المهمة واحدة لظل الجنس واحدا، ولم ينقسم إلى نوعين؛ فالليل والنهار نوعان لجنس واحد هو: الزمن، وهذا التنوع أدى إلى أن يكون لليل مهمة هي السكن، وأن يكون للنهار مهمة؛ هي السعي والكدح، والرجل والمرأة بهذا الشكل نوعان لجنس هو الإنسان، فكأن هناك أشياء تطلب من كل منهما كإنسان، وبعد ذلك أشياء تطلب من الرجل كرجل، ومن المرأة كامرأة".

الجندر أو الوحي الشيطاني

وأختم هذه المقالة ببيان حقيقة مهمة؛ وهي أن أصل فلسفتهم لا يقف عند حد كونه ضلالا فكريا؛ بل إنه مبدأ شيطاني؛ كما يبين ذلك قوله تعالى عن إبليس:

{**لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا**} (النساء 119).

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "ويدخل في معنى تغيير خلق الله؛ وضع المخلوقات في غير ما خلقها الله له، وذلك من الضلالات الخرافية".

ويبدو أن كون هذه الآية من آي سورة النساء؛ فيه إشارة شبيهة بتلك التي في حديث الرجلة .

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

أختي لقد آن الأوان أن...

عبد المغيث موحد

..أخيّتي لسنا في حاجة للإفاضة في سرد ذلك الغيض من الفيض عن شخصيتك قبل الإسلام، وما كانت تعانيه بنت جنسك من تكالب وإعْنات، ومن تدنٍّ وتضييق، لسنا في حاجة للكلام عن الوأد وعن الأنكحة الفاسدة الظالمة التي هدمها سيف الحق سيف الإسلام، لسنا في حاجة إلى ذكر أو تصوير ما كان يعتري رب الأسرة من ضيق واكتئاب حين يبشر بولادتك "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ".

لسنا في حاجة إلى التوسع في سرد وضعك في ظل الفكر الكنسي وفلسفة الرهبان والمطارنة فهذا قدِّيسُهم "امبروز" يقول: "تلك التي لا تؤمن إنما هي امرأة، ويجب أن تصنف مع جنسها الأنثوي! أما تلك التي تؤمن -أي تترهب- فهي تتقدم نحو الرجولة الكاملة وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها الأنثوي وغوايات الشباب وثرثرة العجائز".

لسنا في حاجة إلى كل ذلك وقد علمنا من نصوص الفرقان وسنة سيد الثقلين أن الإسلام قد جبَّ ما قبله، فاندرست تحت وميض صارمه المسلول صنوف من الجور وألوان من الشطط كانت تمارس على جنسك بامتياز ذكوري فريد، سواء عند العرب أو عند غيرهم من شعوب الأرض.

مرضعة بغير حليب

لسنا في حاجة إلى التفصيل في كل ذلك وقد جاء الإسلام ليقرر لك مكانة شريفة، ومنزلة كريمة، وليحملك مسؤوليات جسام، بدءً من قعر البيت، وانتهاء بطلب المشاركة الجادة في دروب الحياة وانشغلاتها في نطاق تحفُّه تعاليم الإسلام السمحة من عفاف وطهر.

شقيقتي، لسنا في حاجة للكلام عن الوأد الذي مارسه ذكران الجاهلية، ونحن نرى رأي العين أنك اليوم وأنت الراشدة المتعلمة تمارسينه بنوع من السادية على نفسك، فبعدما كانت يد السكارى تدسك وأنت رضيعة تحت التراب، فها أنت اليوم مُرضعة بغير حليب تمارسين الوأد باسم المدنية والتزاماتها المزيفة، فتقبعين داخل قلاع تحت أرضية معروفة عند كائنات الظلام بالعلب الليلية، ترقصين عارية تبيعين البسمة لوطاويط الظلام التي تنوء بأقذار من الانحراف والسقامة الخليقة، فشتان بين تلك البريئة التي قال في حقها سبحانه وتعالى: "وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ" وبينك أنت أيتها المكلفة الأميرة على نفسها التي اختارت باسم الحرية والمساواة والحداثة أن تنسلخ عن كل ما يمت للحياء والمروءة بصلة ونسب، بدعوى أن ذلك قد تجاوزته مستلزمات الحياة في ظل عصر النهضة وعولمة الأخلاق، فما أبين ذلك الأمس الذي كنت تساقين فيه على مَكْرهة منك لتباعين في سوق النخاسة، عن هذا اليوم الذي تنافحين فيه جادة وتدافعين بإرادة واعية، وصفة واهية، وقصد مسؤول، غايتك إعادة صياغة عقود هذه السوق من بيع وشراء ومعارضة غبن، فصرت وبإذن منك بضاعة كلأً لكل حاطب ليل وراتع مغتصب.

نأسف لكل مسخ أصاب ظاهرك

أخيتي، إن كنا في غنى عن التفصيل معك فيما قد سلف لأسباب ذكرناها مجملة، فإننا وبدافع غيرتنا عن تعاليم هذا الدين السمحة نعلنها وبثقة راسية ثابتة ونحن نواجه ذلك الصنف من الإناث والذكور، الذين حملوا شارة العمادة لخوض معركة قصف الموروث الظلامي - بزعمهم- وضرب كل ما له صلة بالستر والعفاف نعلنها لنقول لهم ولمن وراءهم ولمن يريد أن يحذو حذوهم أن ليس في الإسلام ثغرات مخوفة نخشى نحن الذين قلنا سمعنا وأطعنا أن يتسلل لنا منها سهم مسموم، أو ريح سموم، بل إننا لنعلم علم اليقين أن حصن هذا الدين كيان غير منقوص وبنيان مرصوص، ومع علمنا هذا لا نملك إلا أن نأسف لكل مسخ أصاب ظاهرك، وخسف باطنك، وهو مسخ وخسف أصابك خارج ذلك الحصن الحصين، أصابك وأنت في حصن ما يسمونه المدنية الحديثة، أصابك وقد وقعت ضحية صنف من بني جلدتنا خدام الاستعمار الغربي، علمانيي الفكر والسيرة، صلتهم بالله منقطعة، وطموحهم في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عدمٌ صفر، أمساخ رجال يشربون الجعة ويقترفون الخنا، يتقعقعون ويفرقعون، غايتهم توهين الإسلام وضرب صحوة حاضرة وإظلام نور مستقبلية، وهم من خلال أجندتهم هذه كانوا ولا يزالون يخالون ويعتقدون أن قضية المرأة ثغرة في تعاليم الإسلام يمكن النفاذ منها، أو التسلل لواذا من خلالها لزعزعة عقيدة المسلمين، وردِّهم إلى مشروع الإخلاد إلى الأرض وشريعة اتباع الهوى واستشراف مردة الشياطين من الجن والإنس، لكننا وكالعادة نبشرهم -وقد أوشكت نارهم أن تخمد- أن حيلهم من دخان وبضاعتهم بضاعة كساد وخسران، والإسلام مهما بدا للأجفان المغلقة غريبا، فعظمته في غربته وقوته الضاربة في دعوته إلى الخير إلى إخراج الناس من عبودية البشر والسجود عند القبر وللقمر إلى عبودية رب الأرباب وإقامة منهج التوحيد الذي به تستقيم الحياة وتنال الفضائل حالا ومآلا.

أي فكر هذا الذي أغشى بصرك

أخيتي، يعز علي أنك قبلت بالدور الذي أرادوه لك والمشروع الذي تبنوه لك، مع أمانيهم ورجائهم الكبير في أن تعيشين في ظله وللأبد دور الضحية ورمز القهر والمسكنة، حتى يتسنى لهم جعلك وسيلة ومطية لنيل الغلبة وتسليط يد العبث على ما بات يعرف في أدبيات المواجهة عندهم "بالطابو" أي المسكوت عنه.

فأي فكر هذا الذي أغشى بصرك وأعمى بصيرتك حتى كان من أمرك قبول هذا الدور المقيت؟ وأي تدليس هذا الذي مورس عليك وأنت الواعية سليلة كراسي الجامعات والمنابر التعليمية؟ فصرت مدفوعة برغبات مسعورة صوب الانتماء إلى فسطاط الباطل، فسطاط فوضاه مالت علينا تروم اجتياح مكاسبنا الخلقية، وضرب صحائف الوحي ومنارات الحق واستبدال كل هذا بالعود إلى الجاهلية الأولى بكل ما تحويه من سوءات وعيوب.

قرار لا اختيار

أخيّتي، لقد آن الأوان أن تقرري لا أن تختاري، فالاختيار بين المصالح في دائرة الإسلام محمود، ولكنه بين نور الحق وعتمة البهتان يكاد يكون ضرب جنون.

إذ كيف للفطرة السليمة والنفس النقية أن تسوي أو تفاضل بين من يعتبر "البكرة" عنوان عفة ورمز طهر ونقاء، ومن ينظر إلى وجودها رمز بَلادَة ودليل غباوة وشعار كبت وشذوذ..

..وبين شارع حكيم حدَّ لكل معتد ومُفرِّطة مائة جلدة تطهيرا وتأديبا، وفلسفة أهدت جلدة واحدة (العازل الطبي) حفظا ووقاية لكل "زير" من الأوجاع التي لم تكن معروفة في أسلافنا..

..وبين من لا يتصورك إلا ربَّة عرين وأم بنين ومن لا يريدونك إلا ضحية إدمان أو صاحبة أخدان..

..وبين من يسعون إلى إشباع رغبات الجسد والروح بزواج شرعي وتعدد حكيم، ومن يوثرون ألا تكونين زوجة ثانية حتى ولو انتهى بك الأمر وحيدة في ذلك الطابور الضارب في الطول والعرض من العوانس.

فيا للعجب أن يهدأ حالك ويطمئن بالك إلى الذين يريدونك أُمًّا عازباً، ولا يبغونك صاحبة بيت ومسؤولية بتعدد شرعي عادل.

وكم هو غريب أن تتخلين عن رسالة الإسلام: رسالة لباس التقوى وثوب العفاف رسالة التخيير بين النقاب والحجاب، رسالة سيد الأنام الذي زاره أيام النبوة شاب ليستأذنه في السفاح فأجابه الرحمة المهداة بقوله "أترضاه لأمك؟!" واسترسل معه عليه الصلاة والسلام منتقلا له من أصل إلى فرع حتى أثناه عن عزمه، وصدَّه عن قصده، حماية لكِ وحفظا لحقكِ، ووصية لنا حتى يتأتى لك العيش بين ظهراني معشر الرجال شريفة عفيفة مرفوعة الهامة قوية الشكيمة.

ومع شدة استغرابنا، ندعوك أيتها الأخت برفق وحنان ندعوك إلى أن تعودي إلى رفوف مكتبات القوانين الوضعية والتشريعات الأرضية لتبحثي بين سطور الأسفار وبطون المظان عساك أن تأتينا بنظير ما نتحدى به أعداء هذا الدين، وخصوم تعاليمه السمحة، فهلا وجدت أختي نصا قانونيا يحرم على كل عين ثاقبة اتباع النظرة نظرة ثانية، بل ويجعل هذه النظرة اعتداء على حق من حقوق زوج المستقبل واجتراء سافرا على حمى بعل الحاضر.

فأرسلي بصرك في حصون ديننا فهل تجدين من فطور، ثم أرسليه في سراب القوم ثم ارجعيه الكرتين والكرات ينقلب شعاعه صاغرا ذليلا وهو حسير.

الحوار مع الآخر خدعة عصرية

محمد جلال القصاص

لا أتكلم عن الحوار داخل الصف الإسلامي -مع أنه غير موجود على أرض الواقع-، وإنما أتكلم عن الحوار مع "الآخر" الذي لا يدين دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب.

يتداعى لهذا الحوار ثلة من المفكرين، الذين يرفعون شعارات (العقلانية)، ويلبسون حُلَّة التفكير، وقد دارت منه جولات منذ بدأ في نهاية القرن التاسع عشر في لبنان على يد محمد عبده بالتعاون مع عدد من القساوسة والأحبار. وبعد قرن أو يزيد من الزمن على بدء هذا الحوار بين الثقافات أو الحضارات -كما يسمونه- يتبين لكل متدبر أنها خدعة عصرية وقع في شراكها كثير من العقلانيين، وأرى نفرا من الشرعيين ينزلقون.

ويتضح ذلك من أمور:

أولا: مادة الحوار

مادة الحوار هي ثوابت الإسلام، مثل الجهاد.. جهاد دفع أم جهاد طلب؟ والكافر الذي يعيش في بلاد المسلمين مواطن من الدرجة الأولى أم ذمي يتقيد بقيود؟ والمرأة في الإسلام ما بالها ترث النصف وتؤمر بالجلوس في البيت ويُنكح عليها؟...

ولم نسمع مرة أن نفرا، بل أحدا، ممن جلسوا أو كتبوا في هذه الحوارات طرح ثوابت النصرانية للنقاش، كالتثليث، والفداء، عبادة (طاعة) الأحبار والرهبان من دون الله، والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم بل جملة الطرح دفاعي تسويغي. يُذكرك بجلسات التحقيق بين مجرم مذنب وبريء مجني عليه.

ويحتجون علينا بأننا أمرنا بمحاورة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وهو بترٌ للنص، وخروجٌ عن السياق القولي الفعلي للدعوة الإسلامية.

الآية تقول: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" [النحل: 125].

فهنا حديث عن دعوة "الآخر" إلى الإيمان بالله ورسوله، وسياق الدعوة الفعلي والقولي يُبين أن طريقة الحوار التي أدارها النبي صلى الله عليه وسلم مع "الآخر" كانت دعوة إلى الإسلام ليس إلا، "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" آل عمران.

ولم تكن يوما نَبْشاً عن نقاط الاتفاق للالتقاء عليها، من باب خدمة الإنسانية والحملة على الفساد، لم يفعل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستضعف في مكة، فهو وإن استفاد من أعراف الجاهلية إلا أنه ظل ينبذها ويصفها بما هي أهله.. يحافظ على الصورة الصحيحة للجاهلية في حس مريديه.

ثانيا: من المسَلم به أن الإسلام له شمولية تطال كل الأشياء

"مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" [الأنعام]، وله خصوصية تامة في الحكم على الأشياء بالصحة أو الفساد، وله خصوصية في معالجة القضايا، فمن أين نأتي بتوصيف مشترك للفساد؟!

وتدبر: (في الجاهلية الأولى كان المال دولة بين الأغنياء.. قلَّة غنية وكثرة بالكاد تجد قوت يومها، وفي الجاهلية الأولى كانت الحروب تأكل الرجال على ناقة، أو لأن فرسا سبقت أختها، وفي الجاهلية الأولى كانت الزنا وكانت الخمر وكان وأد البنات وبيع الأحرار. وكان الشرك الأكبر (شرك النسك وشرك الطاعة)..

ولم تخل الجاهلية من المصلحين، الذين يسعون في إصلاح ذات البيْن لحقن الدماء ورفع الظلم عن الضعفاء.

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضع يده في يد أحد من هؤلاء.

بكلمات أخر: رغم أن الدعوة الإسلامية كانت تدعو لمثل ما كان يدعو إليه المصلحون من مكارم الأخلاق إلا أنها لم تضع يدها في يد أحد من هؤلاء. ذلك لأنه وإن اتحدت الأهداف فإن المنطلقات متغايرة. فهؤلاء دوافعهم شتى.. تدفعهم المروءة ويدفعهم الثناء الحسن ويدفعهم عرف الآباء، أما المسلمون فيدفعهم طاعة الله ورسوله -ولا ينبغي أن يكون لهم دافع غير ذلك-. وهؤلاء تقف أهدافهم عند إصلاح الدنيا والمسلمون يصلحون الدنيا للآخرة. وشتان)[1].

ثالثا: مَن يتحاورون

الملاحظ أن الحوار يكون مع رجال الدين، ومع المنظّرين للكفر والإلحاد، وهؤلاء هم الملأ، وهؤلاء هم الذين يفتعلون الشبهات حول الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، هم الذي يقولون على الله الكذب وهم يعلمون، هم الذين يعرفون الكتاب كما يعرفون أبناءهم، وغني عن الذكر أن كفر هذا الفصيل من الكافرين ليس جهلا، وكيف وهم يدرسون الإسلام عشرات السنين، وإنما عنادا واستكبارا.

والسؤال: لماذا لا يكون الحوار مع جميع النصارى عامتهم وخاصتهم؟ وهو الصحيح المفهوم من معنى الدعوة في الإسلام. يكون عوام الناس هم المستهدفون بالحوار. يفتحوا لنا قنوات لعرض الإسلام على عوامهم وخواصهم سواء.

ومن يتدبر في تشريع الجهاد في الإسلام يجد أنه يستهدف إزالة الحواجز التي تحول دون محاورة عوام الناس، أو بالأدق دعوتهم للإسلام، وهذه الحواجز ليست إلا الملأ الذين استكبروا في الأرض بغير الحق من أرباب السلطان والمفكرين. هم هم بأم أعينهم من نُدعى للحوار معهم اليوم.

ومن يتدبر يجد أن عامة الناس تبعٌ لهؤلاء يُنصتون لهم ويسيرون خلفهم، ويصدقونهم في كذبهم.

نعم هناك حالات خيِّرة منصفة تنطق بالحق وتريد الخير، ولكنها ليست فاعلة، لا تأثير لها على مجريات الأحداث في بلادهم وتبقى الحالات الخيِّرة فردية لا تقدم ولا تأخر، وليست هي التي ندعى للحوار معها.

كما أن ثمرة الحوار التي يتذرع بها من يسيغ الحوار مع "الآخر" لا تأتي إلا من بث مفاهيم الإسلام وتصوراته داخل الصفوف الخلفية لمن ندعى للحوار معهم، أعني عوام الناس، ولا سبيل للوصول لهؤلاء وعلى رأسهم هؤلاء الذين يكتمون الحق وهم يعلمون، ومن له أدنى إطلاع على حال الناس في الغرب أو الشرق يعرف أن من يقرأ منهم عن الإسلام إنما يقرأ من كتابات قومه ومفكريه، ويَنظر إلينا من عل، ولا سبيل للوصول لهؤلاء إلا في المناسبات أو الأحداث الجسام كحادث (سب النبي صلى الله عليه وسلم) وقد أهدرنا الفرصة وأدناها قبل أن تمشي على قدميها، وجاءت أختها في إثرها فلم نلتفت إليها!

رابعا: استُخدم الحوار بهذه الطريقة في إعطاء شرعية للنصرانية

فمن الملاحظ أن "الآخر" يحرص أشد الحرص على أن ينتزع من المسلمين اعترافا بالنصرانية، ويعترف المتحاور الإسلامي ويخلط بين الاعتراف بالوجود والاعتراف بالشرعية، ويضع هذا مكان ذلك، والقوم يسوِّقون هذا الاعتراف في المناطق التي يمارسون فيها التنصير، فيتكلمون إلى من ينصرونهم بأن الإسلام يعترف بنا ولا يتنكر لنا، وهذا فلان وفلان من "علماء" الإسلام يتكلم بهذا الكلام، واستشهاد النصارى بهذا الأمر كثير جدا، ومن يحاورهم في غرف البالتوك أو في الواقع أو ينصت لحواراتهم يجد من هذا الكثير.

خامسا: يُستخدم هذا الأمر في إقصاء بعض أفراد الصحوة الإسلامية

ووصفهم بالتشدد والرجعية والجمود والتطرف..الخ. وأنهم مفرطون خارجون على علمائهم.

أليست المآلات معتبرة شرعا؟!

فلم يتغافل العقلانيون عن هذا؟!

إن الحوار بهذه الطريقة في وقت التحمت فيه الصفوف في أكثر من مكان على أرض المسلمين، وانحاز فيه مفكرو الغرب إلى السلاطين وراحوا يدعمونهم ويؤيِّدونهم ببيانات ومقالات وأبحاث تفيد بحتمية صراع الحضارات وضرورة إنشاء (الإسلام المدني الديمقراطي).. الخ.

سادسا: نحن بحاجة إلى حوار إسلامي

يبحث عن تفعيل أكثر للصحوة الإسلامية، والاستفادة من طاقاتها، والخروج من حالة التأرجح في المكان، ويلقي (كلمة في وحدة الكلمة) بين أبناء الملة وأهل القبلة ممن رضي بالله ربا وبالإسلام دينا كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وامتثله أصحابه رضوان الله عليهم.

فوفروا جهدكم لهذا.

[1]: من مقال (دعوة لإعادة النظر في الأهداف والمنطلقات) للكاتب، موقع المسلم ركن المقالات الشرعية، وموقع صيد الفوائد.

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

عندما يصبح إعلامنا أداة تدمير ومعول هدم

أحمد السالمي

إن للإعلام الهدام غير الهادف دور كبير في تمييع الأخلاق، وطرح الحياء ظهريا، وتضييع الدين، هذا ما نراه يوميا يعرض عبر قنوات إعلامنا، من رسوم متحركة تمس جانب العقيدة، ومسلسلات مكسيكية وأمريكية وأوربية.. تُسوِّق للرذيلة والخيانة الزوجية، بالإضافة إلى التنافس المحموم الذي بدأت تشهده الأفلام المغربية التي تتبارى في كسر الطابوهات -زعموا-، من استهزاء بالدين، ونشر لثقافة العري والعلاقات الجنسية المحرمة..

دون أن ننسى الدور الكبير والهام الذي تلعبه الأسواق السوداء (درب غلف بالبيضاء، والكزا بالرباط..) من ترويج للأفلام الإباحية المقرصنة، وفك شفرات القنوات الإباحية الهدامة والتسويق لها، هذا كله أمام غياب رقابة على هذه الأسواق مما يترك للباعة الذين لا يهمهم إلا الربح المادي حرية مطلقة لهدم وتدمير الأخلاق، وحتى إن وجدت رقابة فهي لا تهتم إلا بحقوق المنتجين والفنانين.

ونظرا لخطورة هذا الإعلام على المجتمع، سواء أكان إعلاما مرئيا أو مسموعا أو مقروءا، نبرز في النقاط التالية بعض مظاهر شره المستطير، فنقول:

1- شيوع الفاحشة في المؤمنين

قال تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**".

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: "(**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**) أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة (**فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟ وسواء كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة" اهـ.

2- تهوين النظر إلى الحرام وتسويغه للنفوس

الله تعالى أمرنا بغض البصر لما يفضي إليه النظر إلى المحارم من وقوع في المحرمات ومقارعتها حيث قال عز من قائل: "**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**



ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ".

قال السعدي رحمه الله: "أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان: (**يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**) عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور".

3- تزيين الحرام وتلميعه

وذلك بتسمية الأشياء بغير اسمها، فالإلحاد بات فنا وإبداعا، والخمر مشروبات روحية، والربا فائدة، والعري موضة، وقلة الأدب وانعدام الحياء والانحلال حرية شخصية.

4- ابتداع وسائل جديدة لارتكاب الحرام

لقد بات الإعلام مهندسا للجريمة والخيانة الزوجية وإقامة علاقات غير شرعية بين الرجال والنساء، وذلك بطرح وسائل جديدة ومبتدعة في عالم الحرام.

5- الأنس بالمعصية والاعتياد على مشاهدة المحرمات

إن تكرار رؤية المشاهد والأفعال وسماع الكلام الفاحش يجعل المعصية عند الناس مألوفة ومستمرأة، حتى يصير رب الأسرة لا ينكر المنكر في أهله ويعرِّض نفسه للوعيد الشديد، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر و العاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث**" صحيح الجامع.

6- نشر القدوة السيئة بين الناس

يقوم الإعلام بتلميع الفاجرات من فناني وفنانات الغرب ممثلي أفلام "البورنو"، ورصد أدق تفاصيل حياتهم اليومية ومغامراتهم الجنسية، وتلميع ما يقومون به من محرمات، وجعلهم مثلا لأبنائنا وبناتنا وقدوة لهم، صارفين الناس عن سيرة من أمرنا بالإقتداء به لقول ربنا عز وجل: "**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**".

7- إلباس الحق بالباطل

وذلك بإظهار الراقصة صالحة مؤمنة حق الإيمان، وأن ما تقوم به من تحريك لبدنها إنما هو عبادة لأن العمل عبادة!!

وأن ما تكسبه حلال لأنها تكسبه بعرق جبينها!!

ولم يكتفوا بهذا بل جعلوا ممثلة الأفلام الخليعة "البورنو" صالحة!! وعملها شريف!! وأنها ليست ببغي!! وإنما هذا عملها، وهذه وظيفة تقوم بها، ولا يؤثر ذلك كله في إيمانها ومعتقدها الديني وأن إيمانها بالله لم يتأثر بعملها، إذ محله القلب فقط!!

فأي سفه قادنا إليه الإعلام الهابط غير الهادف؟!!

هذا كله تحت مسمى الفن والإبداع!!..

ردا على افتراءات المسمى "بزيز" بحق الشيخ عبد العزيز آل الشيخ

معاذ السالمي

اعتاد رويبضات الصحافة أن يهاجموا أقوال علماء المسلمين ومواقفهم إزاء قضايا الأمة؛ و من بين تلك التخرُّصات التي تجرأ فيها أولئك الأقزام على الفقهاء الأعلام: مقال بعنوان "فتوى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ" للمدعو "بزيز" في عموده اليومي بجريدة "المساء" (العدد 330).

حيث وجَّه فيه اتهامات بالجملة لمفتي بلاد الحرمين الشريفين، متهما إياه بالإفتاء بتحريم مقاومة القوات الغازية! حيث قال: "لم يجد الشيخ المفتي سوى قضية واحدة هي تحريم مقاومة الاحتلال على الشباب.."، بل زاد على ذلك بالتنبؤ بكون الشيخ سيصدر فتوى أخرى يحرض فيها الشباب على الالتحاق بصفوف الجيش الأمريكي!! لأن "الشيخ -دائما حسب كلام ذلك "البزيز"- يثق في الإدارة الأمريكية كثيرا"!!

وتساءل، في حديثه عن هيئة كبار العلماء، عن "معنى صفة "كبار" الملحقة بكلمة علماء (الفتاوى النووية)، هل معناها أنهم كبار الأجسام ضخام الهامات.." هكذا قال..

ليخلص من خلال "اجتهاده" إلى كون تلك الفتاوى "تدخل في نطاق التخريف والهذيان المصاحبين للتقدم في السن".

وكنت أتمنى لو أفتانا هذا "الفقيه" البزيز في حكم السخرية من ولاة أمر المسلمين والتنكيت عليهم، والتلميح -في معظم كتاباته- إلى ضرورة الخروج عليهم؛ أم أن فكره "الحر" يؤزه على الخوض في مثل هذه المواضيع؟!

وبخصوص وقوفه المزعوم في صف المجاهدين، فنرجو من "سماحته" أن يوضح للمسلمين موقفه باعتباره "مُهَرِّجاً"، عفواً، أقصد "عالما" من قضية المغربيين المختطفين بالعراق (بوعلام والمحافظي)، اللذين لا يزال مصيرهما مجهولا حتى هذه اللحظة.

ونرجو من "سماحته" أيضا أن يطلعنا على موقف الشرع (كما يفهمه "سماحته") مِنْ ذبح السفير المصري بالعراق!

وأخيرا وليس آخرا نريد من "العلاَّمة" بزيز فتوى حول ما يسمى بـ"العمليات الاستشهادية".

فإن لم تستطع يا "سماحة الشيخ" بزيز أن تفتينا، فالزم "عِلْمَك" وميدانك، فالعراق وغيره من مناطق الحرب في العالم الإسلامي يضم -إلى جانب المجاهدين جهادا شرعيا- جماعات وتنظيمات متطرفة، تكفر كثيرا من المسلمين بالجملة..

ولا شك أن ذلك من أهم الأسباب التي دفعت الشيخ عبد العزيز لإصدار فتاوى يحذر من خلالها الشباب من مغبة الذهاب إلى العراق أو غيره، خشية ضمهم من قبل تلك التنظيمات المتطرفة إلى صفوفها، وقد حدث هذا فعلا لكثير من الشباب الذين وجدوا أنفسهم في ضيافة عصابات تكفيرية تحرضهم على "قتال حكوماتهم المرتدة"! بعد أن كانوا يسعون لمقاومة قوات الاحتلال.

أضف إلى ذلك أن تلك الجماعات تملك قدرات تأطيرية وتعبوية كبيرة، وتروج بين الشباب شبهات فقهية، وفتاوى مضللة غالبا ما ينساقون وراءها فيقع ما لا تحمد عقباه.

هَبْ أنَّ رجلا يشتغل إسكافيا، وفجأة قام يتحدث في مسائل طبية مثلا!! أو مهندسا يتكلم في فن الطبخ وما إلى ذلك!!..

لا شك أن ذلك سيعتبر تطفلا -إن لم يكن تعديا- على تخصص الغير، فلتلزم "فَنَّكَ" يا بزيز، لأن "من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب".

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**".

ما لم يقله "ساركوزي" أثناء زيارته للمغرب!

انتهت زيارة الرئيس الفرنسي "نيكولا ساركوزي" التي قام بها إلى بلدنا يوم الأربعاء 24 أكتوبر والتي دامت ثلاثة أيام، وكانت هذه الزيارة حافلة بالمشاريع بالنسبة للرئيس الفرنسي، حيث زار مدينة طنجة وألقى فيها خطبة عن مشروعه لإنشاء اتحاد متوسطي يضم الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، هذا المشروع الذي سيدافع عن رهانات الأمن وحوار الثقافات والبيئة والتنمية ومحاربة الإرهاب..، كما استضافه الملك محمد السادس لحفل عشاء بمدينة مراكش، وألقى خطبة الإعجاب والتنويه بما بلغ المغرب من تقدم في سلم الحداثة ومحاربة الإرهاب والتطرف تحت قبة البرلمان..

لقد جاء "ساركوزي" إلى المغرب وجاء معه جيش من رجال الأعمال والتجار للبحث عن مشاريع تجارية رابحة في المغرب، الزبون المثالي لفرنسا إذ بلغ حجم الاستثمارات المبرمة خلال هذه الزيارة حوالي 3 مليارات أورو، أهمها إنشاء خط سريع للقطار بين طنجة والدار البيضاء..

لقد تساءل الكثير عن زيارة "ساركوزي" للمغرب وما تحمله من مشاريع تخدم مصالح وسياسة فرنسا، فإن من أهم ما أثير في الموضوع -والذي تدل عليه قرائن قوية- هو أمر علاقة "ساركوزي" بالكيان الصهيوني، حيث يتهمه البعض بأنه عميل لـ"موساد" لما يبديه من تعاطف كبير مع القضية الصهيونية، فحسب صحيفة "يديعوت أحرونوت" فقد شدد "ساركوزي" في رسالته إلى "بيريز": (على أن فرنسا كانت دائمًا مشتركة بقوة في الجهود الرامية لتحقيق ما أسماه بـ"السلام الشامل والفعال" في الشرق الأوسط، كما أعلن أن باريس ستبقى ملتزمة بضمان أمن "إسرائيل").

وبالمقابل جعل البعض هذا الاتحاد الذي دعا إليه "ساركوزي" هو خطوة متقدمة لربط العلاقة والتطبيع مع الكيان الصهيوني، الذي أصبح يولي اهتماما خاصا لدول المغرب العربي.. فكل الدراسات الإستراتيجية



الإسرائيلية تؤكد على أن التطبيع مع شمال إفريقيا أمر ضروري للأمن الاستراتيجي للكيان الصهيوني.

إن مشروع "ساركوزي" هذا شبيه بمشروع الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء الشرق الأوسط الكبير، وهو ما يدل على التنافس المحتدم بين الـ"فرانكفونية" والـ"أنجلوساكسونية" على بناء اتحادات قوية تخدم مصالحها القومية، وتعزز تبعية الدول الضعيفة لها.

لقد كانت من الكلمات التي لاقت إعجابا من برلمانيي المغرب والتي صفقوا لها كثيرا "عاش المغرب"، وعاش المغرب حسب "ساركوزي" وحسب التعريف الفرنسي يذكرنا بذاك الكتاب الضخم الذي يقرأه كل دارس لتاريخ المغرب -المغرب الفرنسي- أي بتعبير بسيط مغرب الحماية الفرنسية.

"عاش المغرب" حسب المعطيات الفرنسية الساركوزية والشيراكية الديغولية هو ذاك المغرب الذي يمكن لأبناء المغرب أن يتكلموا فقط لغة "موليير"، وأن ينسوا قليلا لغتهم العربية وكل هوية وطنية مغربية.

أن يتعلموا من فرنسا الحضارة والأدب والصحافة والفن السابع، أن ينسوا قليلا ما اقترفته أيادي الماريشال "ليوطي" و"نوجيس" وآخرون من قتل وتذبيح وسفح في حق المغاربة فهم مجرد رعايا.

في مغرب "ساركوزي" و"جاك شيراك" والسلسلة طويلة في تلك التبعية المطلقة، أن يطمسوا كل هوية مغربية إسلامية من أجل الحضارة الفرنسية.

في مغرب "ساركوزي" وهتافه الكبير "عاش المغرب" حرا طليقا لفرنسا التي نسيت أو تناست أن تقدم اعتذارا عما لحق المغاربة من مصائبها، عن استغلالها الفاحش ونهبها المستمر لثروات الوطن أمام أعين ناظريه.

في المغرب الفرنسي كما يحلو للفرنسيين أن يسموه، مغرب العلاقات الفرنسية-المغربية بداية باتفاقية "لالة مغنية" 1845م واتفاقية "إيكس ليبان" وأخيرا اتفاقية "ساركوزي" بدعوى الجوار المتوسطي.

في المغرب الفرنسي كل المؤسسات الاقتصادية والتربوية تابعة لفرنسا القوية ولغتها، بما في ذلك القنوات الوطنية -الممولة من الضرائب المجباة من المغاربة- التي تخدم مصالح فرانكفونية فرنسا.

هل أصبحت مدينة مراكش قبلة لممارسة الجنس والشذوذ؟

أعلنت وكالة سياحية بلجيكية عن تنظيم رحلة سياحية "جنسية" إلى مدينة مراكش يوم 9 نونبر 2007م تستمر 3 أيام من أجل الاستفادة من برنامج تقول إنه في مستوى عال.

ولاهتمام هذه الوكالة بتقديم خدمات للشواذ، قدمت لهم دعوة خاصة، وقالت: "إنهم سيلتقون مع أمثالهم المقيمين بالمدينة الحمراء في أماكن خاصة، ويقضون معهم أجمل الليالي بهذه المدينة الحمراء المفضلة لدى خفافيش الظلام، محددة مواقع خاصة من مثل مرقص الباشا، و"نيكي بيتش"، والشاطئ الأحمر".

ومن المثير أن هذه الوكالة البلجيكية لتحفيز الراغبين في هذه الرحلة قدمت المغرب على أنه بلد "السياحة الجنسية" بامتياز وأن مراكش قطعة ذهبية في هذا البلد، معتبرة أن "السياحة الجنسية" غيّرت وجه المدينة دون أن تصيبها في العمق، ومشيرة أن مراكش موقع سياحي متميز من خلال مواقعها الأثرية ومسابحها الخاصة ونواديها ورياضها وإقاماتها المحروسة، وأن بعض هذه الأماكن تتوفر على صبية وفتيات صغيرات يمكنهم أن يقوموا بتلبية رغبات خاصة للسياح.

يشار أن المغرب عموما ومدينة مراكش خصوصا تعيش بين الفينة والأخرى على إيقاع فضائح جنسية أبطالها سياح أجانب -قد تنتهي جريمة الاستغلال الجنسي



بجريمة قتل للمستغل الأجنبي-، يقومون بهتك أعراض الصبيان أو باغتصاب الفتيات، مما خلف آثارا سلبية في أوساط المجتمع المغربي والمراكشي بالخصوص، والذي أصبح يراوده القلق والخوف من التفشي السريع لظاهرة استغلال الأطفال جنسيا، دليله ما تقوم به مثل هذه الوكالة من استقطاب للسياح الشواذ جنسيا اتجاه الأطفال.

هذا وجدير بالذكر أن الشواذ في المغرب أصبحوا بين الفينة والأخرى يظهرون على الواجهة، ويدافعون على حقوقهم وأنهم فئة من المجتمع الذي ينبغي أن يتقبل شذوذهم، حيث أصبح لهم ظهور في الكثير من المناسبات أهمها اجتماعهم الوطني بموسم "سيدي علي بن حمدوش"، وفي مهرجاناتهم كـ"البولفار" ومهرجان أنغام السلام..، بل زادوا في غيهم فأعلنوا عن تنظيم جمعية لهم تحت اسم "كيف كيف" للدفاع عن حقوقهم.

فهل من تدخل سريع لعلاج هذه الظاهرة التي أصبحت تستشري في الأمة بشكل مخيف بين الشباب الضائع والممسوخ الهوية والانتماء؟

أم أننا سنعيش لنسمع هذه الشرذمة المنحرفة ذات يوم وهي تطالب بحقها في الزواج المثلي تحت قبة البرلمان الذي أصبح لا يعبر ويدافع عن قيم وهوية المغرب المسلم؟!

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

شهوة البطن

"لو تغذى القلب بالمحبة لذهبت بطنة الشهوات"

شهوة البطن من أعظم المهلكات إذا لم يضبطها العبد ويلجمها بما جاء به الشرع، فبها أخرج آدم عليه السلام من الجنة، ومن شهوة البطن تحدث شهوة الفرج والرغبة في المال، ويتبع ذلك آفات كثيرة، (انظر مختصر منهاج القاصدين).

يقول الله تعالى: "وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ".

قال السعدي رحمه الله: "(وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ) أي: مما رزقكم الله من الطيبات (وَلاَ تُسْرِفُواْ) في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات التي تضر بالجسم وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوع في المأكل والمشرب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام" (تيسير الكريم الرحمن).

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة" (السلسلة الصحيحة).

قال الحافظ في الفتح: "قوله (ما بين لحييه) قيل: لسانه، وقيل: بطنه".

ولما ذكر الغزالي رحمه الله في الإحياء شهوة البطن والفرج واللسان قال: "فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق.. وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: (تقوى الله وحسن الخلق) وسئل عن أكثر ما يدخل النار فقال: (الأجوفان: الفم والفرج..) فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفده".

وقال عليه الصلاة والسلام: "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" (السلسلة الصحيحة).

قال ابن رجب رحمه الله: "كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون كثيرا ولا يشربون كثيرا، يقللون من أكل الشهوات وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام إلا أن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها ولهذا كان ابن عمر يتشبه به في ذلك مع قدرته على الطعام، وكذلك أبوه من قبله" (جامع العلوم والحكم).

قال مالك بن دينار رحمه الله: "ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر من همه، وأن تكون شهوته هي الغالبة" (جامع العلوم والحكم).

وقال ابن القيم رحمه الله في الفوائد: "لو تغذى القلب بالمحبة لذهبت بطنة الشهوات".

ولا يعني هذا أن يحمل الإنسان نفسه على التقليل مما أحله الله له من الطعام بحيث ينهك قواه فلا يقوى على طاعة الله.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: "قال الإمام أحمد بن حنبل: (أكره التقلل من الطعام فإن أقواما ما فعلوه فعجزوا عن الفرائض)، وهذا صحيح فإن المتقلل لا يزال يتقلل إلى أن يعجز عن النوافل ثم الفرائض، ثم يعجز عن مباشرة أهله وإعفافهم وعن بذل القوى في الكسب لهم وعن فعل خير قد كان يفعله.

..فتنقيص المطعم على الدوام مؤثر في القوى فلا يجوز" (صيد الخاطر بتصرف).

قال ابن القيم: "وأما الذوق الواجب فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه وخوف الموت فإن تركه حتى مات، مات عاصيا قاتلا لنفسه.

قال الإمام أحمد وطاووس: "من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار"، ومن هذا تناول الدواء إذا تيقن النجاة له من الهلاك على أصح القولين وإن ظن الشفاء به فهل هو مستحب مباح، أو الأفضل تركه؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف.

والذوق الحرام كذوق الخمر والسموم القاتلة والذوق الممنوع منه للصوم الواجب، وأما المكروه فكذوق المشتبهات والأكل فوق الحاجة وذوق الطعام الفجاءة وهو الطعام الذي تفجأ آكله ولم يُرد أن يدعوك إليه، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها وفي السنن أن رسول الله نهى عن طعام المتبارين وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس، والذوق المستحب أكل ما يعينك على طاعة الله عز وجل مما أذن الله فيه، والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل فينال منه غرضه، والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب، وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها للأمر به عن الشارع، والذوق المباح ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان" (المدارج).

قال سلمة بن سعد: "إن كان الرجل ليعير بالبطنة كما يعير بالذنب" (جامع العلوم والحكم).

ثمرات العبادة

"من أرَاد السَّعادة الأبَديَّة فليَلزم عَتبَة العُبوديَّة"

الباعث الأساس لعبادة الرب سبحانه هو استحقاقه تعالى لذلك، فنحن نعبد الله جل وعلا لأنه مستحق للعبادة تحقيقا للغاية التي من أجلها خلق الإنس والجن كما قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، فهو المستحق الوحيد للعبادة لعموم سلطانه على الكون وعظيم فضله على الخلق أجمعين. ومع ذلك يجب أن نعلم أن الله تعالى غني عن العالمين، فالعبادة لا تزيده ولا تنقصه مثقال ذرة لأنه غني بذاته غنى مطلقا فلا يحتاج إلى شيء مما في الوجود بل كل ما في الوجود محتاج إليه قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.

وعليه فإن ثمرة العبادة إنما ترجع إلى الشخص العابد نفسه إذ هو المحتاج إلى الله تعالى والمفتقر إليه استعانة وتوكلا.. كما قال تعالى: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا}.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:

أنا الفقير إلى رب البريات

أنا المسكين في مجموع حالاتي

ومن هذه الثمرات المرجو تحقيقها بالمداومة على العبادة:

أولا: تربية الروح وتغذيتها

ذلك أن الإنسان مكوّن من مادة وروح، فإذا كان العنصر الجسدي فيه يجد حاجته في العناصر المادية في الكون من مأكل ومشرب وملبس ومنكح وغير ذلك فإن العنصر الروحي لا يجد إشباعا لحاجته إلا بالقرب من الله تعالى إيمانا به واتباعا حتى يشعر بمعية نصرته تعالى له، وحفظه ورعايته وذلك لا يتحقق إلا بالعبادة سواء في الضراء أو في السراء، كما قال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.

وقال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} فدل رسوله عليه الصلاة والسلام إلى التقرب إليه تعالى وعبادته.

ثانيا: تحقيق حرية الإنسان

فالعبادة لله تعالى تحرر المؤمن من الخضوع لغير الله تعالى فيصبح بذلك حرا طليقا من سلطان سوى سلطان الله تعالى وبذلك يصل إلى شاطئ الأمان ويحس بالسكينة إلى الله تعالى فإن مصدر العزة إنما هو اللجوء إلى الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَأَمَّا مَنْ اسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ فَصَارَ عَبْدًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهَذَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَلِكَ النَّاسِ، فَالْحُرِّيَّةُ حُرِّيَّةُ الْقَلْبِ وَالْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ" (الفتاوى).

ثالثا: تمحيص المؤمن بابتلائه بالعبادة إعدادا له للحياة الآخرة

قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: {يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} فالدنيا دار ابتلاء ومادة هذا الابتلاء هي عبادة الله تعالى تحقيقا لأمره {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}.

رابعا: العبادة سبيل لصلاح المجتمع

بالنظر إلى العبادة بمفهومها الشامل نجد أنها شاملة لكل أوجه الإصلاح الفردي والاجتماعي حيث إن كل عمل يقوم به الفرد أو تقوم به الجماعة يدخل في إطار العبادة.

وقد شرع الإسلام مبدأ فروض الكفاية التي يراعى فيها صلاح الجماعة والمجتمع قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}.

وجماع هذه الثمار تحقق السعادة الدنيوية والأخروية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية" (المدارج لابن القيم).

وقال الناظم:

الدين جاء لسعادة البشر

ولانتفاء الشر عنهم والضرر

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

أويس بنِ عامر القرني البارُّ بأمه

نسوق إليكم معشر القراء الكرام في هذه الأسطر اليسيرة نبذة مختصرة عن عَلَم من أعلام أمتنا، تابعي جليل حاز مرتبة عليا بنزول الوحي في شأنه، إنه أويس بنِ عامرِ القرني، وهو تابعي من أهل اليمن، جاء إلى المدينةِ في عَهدَ عمرَ بن الخطاب، وكان قد أسلم في عهدِ رسول صلى الله عليه وسلم، ولَكنه لم يتمكن من القدوم إلى المدينة في عهد رسول صلى الله عليه وسلم مع قومه لأنه كان مشغولا بخدمة أمه، ولذا لم يحظ بلقب الصحبة، غيرُ أن هذا التابعيَ الكريم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحدثُ عنه أصحابَه ويحدثهم بما له من منزلةٍ عند الله تعالى، وأنه مستجاب الدعاء ببرّ أمه ولنتعرفْ على قصته كما رواها الإمامُ مسلم في صحيحه.

قال الإمام مسلمٌ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، أي جماعة الغزاة الذين يمدونِ جيوشِ الإسلام في الغَزو يسمون أمداد وواحدهم مدد؛ سَأَلَهُمْ:أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْس فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ نعَم.

قَالَ، أي عمر: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟

قَالَ: نعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَال: نَعَمْ.

قَالَ عمر بن الخطاب: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، **لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ** فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَيْنَ تريدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ.

قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟

قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، أي ضعافهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم.

هذا التابعي الجليل هو خير التابعين، حدَّث عن فضله رسولُ صلى الله عليه وسلم أصحابَه، وقال لعمر إن استطعت أن يستغفر لك فافعل بمَ نال أويس هذه الدرجة، حتى إنُ الصحابة الكرام، ليطلبون منه أن يدعو لهم؟ كان له والدة، وكان به بياض أي برص، فجعله الله ببره لأمه مستجاب الدعاء، فدعا الله وقال: "دع في جسدي منه ما أذكر به نعمَك علي فترك له ما يذكر به نعمه عليه".

إنه برّ الوالدة والصدق في البرّ سببٌ لرضوان الله تعالى، فيا تعس من أدرك والديه ولم يغفر له، ويا طول شقاء من جعل والديه سببا إلى النار بإغضابه لهما وعقوقه بهما.

نسأل الله تعالى أن يستعملنا في طاعته وأن يقسم لنا من طاعته ما ينولنا به جنته.

لماذا نتأخر دائما في الحضور إلى الصلاة؟!

ماذا يحدث إذا بكرنا إلى المسجد

اعتاد أغلب المصلين التأخر عن المسجد فلا يحضرون غالباً إلا عند الإقامة أو بعدها، وكثيراً ما تفوتهم الصلاة أو جزء منها، وقد تقام الصلاة وليس في المساجد سوى عدد قليل، ثم ما أن تقام الصلاة حتى يتوافد المصلون سراعا إلى المسجد، رغم المدة الزمنية الفاصلة بين الأذان والإقامة تمتدُّ من عشر دقائق إلى خمسة عشر دقيقة.

إن المبادرة إلى المسجد وانتظار إقامة الصلاة والاشتغال بالذكر والقراءة والنوافل من أسباب المغفرة، ومن أعظم الخيرات، وهو دليل على تعظيم الصلاة وتعلق القلب بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه.." (التهجير: التبكير إلى الصلاة).

فالمنتظر الصلاة لا يزال في صلاة ما انتظرها، قال عليه الصلاة والسلام: "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة" (متفق عليه) وفي رواية للبخاري: "لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة".

إن الذي ينتظر الصلاة تصلّي عليه الملائكة وتدعو له بالمغفرة والرحمة ما دام في مصلاه، ما لم يحدث أو يؤذِ، قال عليه الصلاة والسلام: "الملائكة تصلّي على أحدكم مادام في مصلاّه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه" (متفق عليه)، وفي رواية للبخاري: "ما لم يحدث فيه وما لم يؤذ فيه".

إن انتظار الصلاة بعد الصلاة سبب في محو الخطايا ورفع الدرجات وهو من الرباط، قال عليه الصلاة والسلام: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "..إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط" (رواه مسلم).

إن في التبكير إلى المسجد ضمانا لإدراك صلاة الجماعة التي تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة كما في حديث ابن عمر المتفق عليه.

إن المبكر إلى المسجد يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: **براءة من النار وبراءة من النفاق**" (رواد الترمذي، وحسنه الألباني).

إدراك الصف الأول الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهمُّوا عليه لاستهمُّوا" (متفق عليه) .(يستهموا: أي يضربوا قرعة).

وقال عليه الصلاة والسلام: "خير صفوف الرجال أوّلها وشرّها آخرها" (رواه مسلم)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدّم" (رواه النسائي وصححه الألباني)، وكان صلى الله عليه وسلم "يستغفر للصف المقدّم ثلاثا وللثاني مرّة" (رواه أحمد وصححه الألباني).

إن المبكر إلى المسجد يتمكن من الإتيان بالنوافل المشروعة بين الأذان والإقامة، المقيّد منها وهي: راتبة الفجر والظهر والمطلق وهو ما دل عليه حديث: "بين كل أذانين صلاة، لمن شاء" (متفق عليه)، والمراد بين كل أذان وإقامة، وحديث: "ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان" رواه ابن حبان وصححه الألباني.

إن التبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة سبب في حضور القلب في الصلاة وإقبال المرء على صلاته وخشوعه فيها، وذلك أنه كلما طال مكثه في المسجد وذكر الله زالت مشاغله ومعلقاته الدنيوية عن قلبه، وأقبل على ما هو فيه من قراءة وذكر، بخلاف المتأخر فإن قلبه لا يزال مشغولا بما هو فيه من أمور، ولذا فإننا نلاحظ أن أوائل الناس دخولا المسجد آخرهم خروجا، وآخرهم دخولا المسجد هم أوائلهم خروجا -في الغالب-.

من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم في الكفارات والدرجات.

والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره قال: صدقت يا محمد!

ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه.

وقال: يا محمد إذا صليت فقل: **اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبّ المساكين وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.**

والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام". رواه أحمد والترمذي وغيرهما، أنظر صحيح الترغيب والترهيب 408.

آية وتفسير

قال تعالى: {**أَفلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**} (غافر).

يحث تعالى المكذبين لرسولهم على السير في الأرض بأبدانهم وقلوبهم وسؤال العالمين، {فَيَنْظُرُوا} نظر فكر واستدلال، لا نظر غفلة وإهمال.

{كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من الأمم السالفة، كعاد وثمود وغيرهم، ممن كانوا أعظَم منهم قوة وأكثر أموالا وأشد آثارًا في الأرض من الأبنية الحصينة، والغراس الأنيقة، والزروع الكثيرة {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا افتدوا بأموالهم، ولا تحصنوا بحصونهم.

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، للهدي من الضلال، والحق من الباطل {فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} المناقض لدين الرسل.

ومن المعلوم، أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: **علوم الفلسفة والمنطق اليوناني الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها والمناقضة، فالله المستعان.**

{وَحَاقَ بِهِمْ} أي: نزل {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} من العذاب. (تفسير السعدي).

الذبح لغير الله مظهر من مظاهر الشرك

لقد نهى الله ورسوله عن الذبح لغير الله، وعدّا ذلك من نواقض الإسلام البينة، ومن مبطلاته الواضحة، فقال عز من قائل: "قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام)، قال تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ" (الكوثر)، وقال تعالى: "وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ" (الأنعام)، وصحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من ذبح لغير الله فقد أشرك" الحديث، ولا يفيده مَن ذبح لغير الله أن يذكر اسم الله على ذبيحته.

وقد تفشى في هذا العصر الذبح لغير الله وتنوعت أشكاله وألوانه، فعلى المسلم أن يحذر أكله أو تعاطيه، فإنه من المحرمات الخبائث.

فعن عليّ رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: "لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض" (رواه مسلم).

واللعن: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها، قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، واللعن من الخلق: السب والدعاء.

أسباب الذبح لغير الله

للذبح لغير الله أسباب عديدة، فمن الناس من يذبح نذراً أو تقرباً لبعض المشايخ، أحياء وأمواتاً، ومنهم من يذبح للجن والشياطين، ومنهم من يذبح خوفاً من إصابة العين أو حدوث مكروه ومنهم من يذبح لعتبة الضريح.. وهكذا، وإليك بعض الصور والنماذج من ذلك:

1- الذبح نذراً وتقرباً لبعض المشايخ الأحياء والأموات، فمن الناس من ينذر لقبر أو شيخ إذا رزق مولوداً أو شفي له مريض، أو نجح له ولد أن يذبح ذبيحة، وهكذا.

2- إذا ارتحل الإنسان إلى بيت جديد، أو إذا افتتح مصنعاً أو محلاً تجارياً ذبح لغير الله خشية أن يصيبه مكروه أو عين.

3- الذبح طاعة للشياطين كما يحدث في حلقات "كناوة" و"عيساوة" وغيرها، حيث يطلب الشيطان على لسان البعض أن تذبح شاة بوصف معين، وقد يأمر بشرب بعض دمها المسفوح، ومن أراد التثبت من حقيقة هذا الأمر فما عليه إلا أن يقوم برصد ما يقع في المواسم الشركية والزوايا المشتملة على قبور يعتبر الناس أصحابها صالحين يتقربون إليهم بالنذور، ليقف على فضاعة الجرم المقترف.

قال الإمام الشاطبي المالكي رحمه الله في الموافقات (2/208-210) خلال إجابته على سؤال: "كيف يتأتى قصد الشارع الإخلاص في الأعمال العادية وعدم التشريك فيها؟ قيل معنى ذلك أن تكون معمولة على مقتضى المشروع، لا يقصد بها عمل جاهلي، ولا اختراع شيطاني، ولا تشبه بغير أهل الملة، كشرب الماء والعسل في صورة شرب الخمر، وأكل ما صنع لتعظيم أعياد اليهود والنصارى، وإن صنعه المسلم، أو **ذبح على مضاهاة الجاهلية**، وما أشبه ذلك مما هو نوع من تعظيم الشرك، كما روى ابن حبيب عن ابن شهاب أنه ذكر له أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي أجرى عيناً، فقال له المهندسون عن ظهور الماء: لو أهرقت عليها دماً كان أحرى أن لا تغيض ولا تهور، فتقتل من يعمل فيها؛ فنحر جزائر (جمع جزور) حين أرسل الماء فجرى مختلطاً بالدم، فأمر فصنع له ولأصحابه منها طعاماً، فأكل وأكلوا، وقسم سائرها بين العمال فيها؛ فقال ابن شهاب: **بئس والله ما صنع، ما حل له نحرها ولا الأكل منها**، أما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نهى أن يذبح للجن"؛ **لأن مثل هذا وإن ذكر اسم الله عليه مضاهاة لما ذبح على النصب، وسائر ما أهل لغير الله به"**.

والحمد لله رب العالمين أن سد جميع الذرائع التي قد تؤدي إلى فساد العقائد، فليحذر المسلم أن يشرك مع الله أحدا في عبادته فتحبط أعماله من صلاة وزكاة وصوم..، "وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" الزمر.

التوحيد حق الله على العبيد

التوحيد هو الأصل الذي بنيت عليه الملة الحنيفية؛ فالاهتمام به اهتمام بالأصل، وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا أنه بيَّن التوحيد تبياناً كاملاً، حتى إنه لا تخلو سورة من سور القرآن إلا وفيها تناول للتوحيد، وبيان له ونهي عن ضده. وقد قرر الإمام ابن القيم رحمه الله أن القرآن كله في التوحيد؛ لأنه:

- إما إخبار عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا هو التوحيد العلمي الذي هو توحيد الربوبية.
- وإما أمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونهي عن الشرك، وهذا هو التوحيد العملي الطلبي، وهو توحيد الألوهية.
- إما أمر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهي عن معصية الله ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته.
- وإما إخبار عما أعد الله للموحدين من النعيم والفوز والنجاة والنصر في الدنيا والآخرة، أو إخبار عما حلَّ بالمشركين من النكال في الدنيا والآخرة، أو إخبار عما حلَّ بالمشركين من النكال في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة من العذاب الدائم والخلود المؤبد في جهنم، وهذا فيمن حقق التوحيد، وفيمن أهمل التوحيد. (مدارج السالكين بتصرف).

الرسل كلهم جاؤوا بالدعوة إلى التوحيد

القرآن كله يدور على التوحيد، وإذا تأملنا السور المكية نجد غالبها في التوحيد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك. ما نزلت عليه أغلب الفرائض من زكاة وصيام وحج وغير ذلك من أمور الحلال والحرام، وأمور المعاملات، ما نزل هذا إلا بعد الهجرة في المدينة. إلا الصلاة فقد فرضت عليه في مكة ليلة المعراج حين أسري به صلى الله عليه وسلم، وكان هذا قبيل الهجرة بقليل.

ولذلك كان غالب السور المكية التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، كلها في قضايا التوحيد، مما يدل على أهميته، وأن الفرائض لم تنزل إلا بعد أن تقرر التوحيد، ورسخ في النفوس، وبانت العقيدة الصحيحة؛ لأن الأعمال لا تصح إلا بالتوحيد، ولا تؤسس إلا على التوحيد.

وقد أوضح القرآن أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أول ما يبدءون دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء، قال تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ" النحل، وقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ" الأنبياء، وكل نبي يقول لقومه: "يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" الأعراف، هذا هو شأن الرسل: البُداءة بالتوحيد.

وكذلك أتباع الرسل من الدعاة والمصلحين أول ما يهتمون بالتوحيد؛ لأن كل دعوة لا تقوم على التوحيد فإنها دعوة فاشلة، لا تحقق أهدافها، ولا تكون لها نتيجة. كل دعوة تهمش التوحيد ولا تهتم به؛ فإنها تكون دعوة خاسرة في نتائجها. وهذا شيء مشاهد ومعروف.

وكل دعوة تركز على التوحيد؛ فإنها تنجح بإذن الله وتثمر وتفيد المجتمع، كما هو معروف من قضايا التاريخ.

ونحن لا نهمل قضايا المسلمين بل نهتم بها، ونناصرهم ونحاول كف الأذى عنهم بكل وسيلة، وليس من السهل علينا أن المسلمين يقتلون ويشردون، ولكن ليس الاهتمام بقضايا المسلمين أننا نبكي ونتباكى، ونملأ الدنيا بالكلام والكتابة، والصياح والعويل؛ فإن هذا لا يجدي شيئًا.

لكن العلاج الصحيح لقضايا المسلمين، أن نبحث أولاً عن الأسباب التي أوجبت هذه العقوبات التي حلت بالمسلمين، وسلطت عليهم عدوهم.

التوحيد الذي طولب به البشر

التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية (أي: توحيد الله بأفعالنا، بعدم صرف أي عبادة لسواه)، ولهذا كان الرسل كلهم يبدءون دعوتهم لأقوامهم بقولهم: "اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" يدعون إلى توحيد الألوهية كما أخبر القرآن عنهم ذلك لأن توحيد الألوهية هو الذي تنكر له البشر واجتالتهم الشياطين عنه.

وأما توحيد الربوبية فهو شيء حاصل وموجود ومستقر في النفوس. والاقتصار عليه والاكتفاء به لا ينجي العبد، ولا يدخله في زمرة الموحدين المؤمنين، ولذلك قاتل الرسول صلى الله عليه وسلم كفار قريش، وهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، قاتلهم واستحل دماءهم حتى يقروا بتوحيد الألوهية؛ قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله**، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله". البخاري.

فهذا دليل على أن المطلوب الأعظم من الخلق هو توحيد الألوهية، ولذلك لم يقل صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت؛ لأنهم مقرون بهذا. بل قال: (حتى يقولوا لا إله إلا الله) أو "يشهدوا أن لا إله إلا الله".

فالله تعالى واحد في ألوهيته، لا يستحق العبادة إلا هو، ولا يجوز التوجه بخوف أو رجاء إلا إليه. لا خشية إلا منه، ولا ذلّ إلا إليه، ولا طمع إلا في رحمته، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه. والبشر جميعاً عباد الله، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. فمن ألّه واحداً منهم، أو خشع له، فقد جاوز به قدره، ونزل بقدر نفسه.

العدد 28، 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

العدد 28، 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

ملف العدد

دخول الجان بدن الإنسان بين علماء الشرع وأدعياء العقل

تقرؤون في هذا الملف

- الجن مخلوقات حقيقية أم هي محض خيال وخرافة؟!
- أسباب المس والصرع
- أنواع الصرع التفريق بين الصرع الطبّي والصرع الجنّي
- الصرع أو دخول الجان بدن الإنسان وتلبسه به حقيقة أثبتها الشرع والعقل والحس والتجربة
- الذهاب إلى السحرة والعرافين والمشعوذين لفك المس والصرع
- العلم المادي يثبت الصرع لا ينفيه العلماء الغربيون يثبتون والمعتزلة والعقلانيون ينفون
- أعراض المس النفسية والجسمية والروحية
- كيف ندفع شر الشياطين ونحترز منهم
- الرقية الشرعية للتخلص من المس والصرع

جمع الملف وأعده: نبيل غزال

لماذا اخترنا هذا الملف؟

عالم الجن والشياطين عالم غيبي، لا نراه ولا نسمعه، ولا يمكن أن ندرك حقيقته وكنهه إلا أن يأتينا الخبر الصادق عنه، ومع غيبته عنا إلا أن كثيرا من الناس أطلقوا مخيلتهم في رسمه وتصوره، فصوره الأكثر على أنه عالم الرعب والأهوال، وتعنت آخرون فجحدوه وأنكروا وجوده.

إن مسألة الصرع والمس أو "دخول الجان بدن الإنسان" من المسائل التي شغلت الناس، وتبرز أهمية دراستها أن قسما منها يمسّ جانب التوحيد وقداسته، وهو الذي برحت الشريعة تحيطه بسياجٍ قوي كيلا يَخدش صفاءَه دخن من الشرك قلّ أو كثُر، فأعلنت الشريعة أحكامها تحمي حمى التوحيد، وتصد كل الأبواب التي تسعى للنيل منه والتأثير عليه، فكانت القاعدة الفقهية (سد الذرائع) لتصون ذلك، تلك الذرائع التي تتردى بصاحبها إلى هاوية الشرك، إضافة إلى جانب آخر وهو تعلقها بموضوع الرقية، بسبب المدخل العظيم للشيطان للنيل من البيوت الإسلامية والعبث فيها وتحطيمها من الداخل.

وقد دفع غلو بعض الناس في تعظيم عالم الجن والصرع والمس، نفرا آخر من الناس إلى التقصير فيها وإهمالها، بل وإلى ردِّها من الأصل وإنكارِها.

فكثير من الناس جعل الأمراض الروحية كالصرع، والسحر والعين الشماعة التي يعلقون عليها أمراضهم ومشاكلهم الاجتماعية، "فصار من في رأسه صداع **ملبوسا**، ومن عينيه احمرار **مصروعا**، ومن في بطنه وجع **مجنونا**، فأي وجع أو ألم يصاب به إنسان يعزى باشتباه حينا، وبجهل -أحيانا- إلى الجن أو المس أو الصرع"، الأمر الذي جعل بعض الناس ينكرون الصرع والمسّ.

وعجبا لمن ينكر حقيقة المس والصرع ودخول الجان بدن الإنسان، رغم أن المسألة أجمعت عليها الأمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "**ليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره**، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يُكذب ذلك، فقد كذَب على الشَّرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك".

وكيف يُنكر أمرٌ مشاهدٌ ملموسٌ، يتكلم الشيطان على لسان المصروع بلغة غير لغته، ولهجة غير لهجته، ونبرة صوت غير نبرة صوته؛ يخبرك الشيطان على لسان المصروع عن أمور لا يعلمها ولا يدركها المصروع نفسه؛ ويشعر المصروع بسريان الشيطان في جسده وبتأثيره عليه في بدنه، وقد يفسد عليه عقله وفكره، ويجعل أعضاءه تتصرف بطريقة مغايرة للمألوف.

لقد أنكر العقلانيون المعاصرون عقيدة مس الشيطان للإنسان مسا حقيقيا، ودخوله في بدنه، وصرعه إياه، مموهين بتأويلات المعتزلة، ومضعفين الأحاديث الصحيحة من صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما..

الأمر نفسه قامت به قناة الرسالة حيث طرحت موضوع هذا الملف خلال إحدى برامجها بصورة ظاهرها البحث العلمي وباطنها إنكار للنصوص الصحيحة، مع تعسف في التأويل، وتقديم للعقل على النقل على منهج المعتزلة، ملبسين بذلكِ على جمهور المشاهدين.

وفي مقابل هذا كلِّه "اشتط قوم آخرون، فاستغلوا هذه العقيدة الصحيحة، وألحقوا بها ما ليس منها مما غيَّر حقيقتها، وساعدوا بذلك المنكرين لها! واتخذوها وسيلة لجمع الناس حولهم لاستخراج الجان من صدورهم بزعمهم، وجعلوها مهنة لهم، لأكل أموال الناس بالباطل، حتى صار بعضهم من كبار الأغنياء، والحق ضائع بين هؤلاء المبطلين وأولئك المنكرين". (تحريم آلات الطرب).

أما السحرة والمشعوذون فقد فتحوا باب الشرك أمام الناس على مصراعيه، بأمرهم بالذبح لغير الله، والتقرب إلى الجن بالقرابين وتلاوة العزائم الكفرية، وتعليق الأحجبة التي تحتوي على رسوم للنجوم والمربعات والأحرف وأسماء الجن ونحو ذلك من كفر وشرك صريح، وغيرها كثير كثير من الوسائل الشيطانية التي يلبسون بها على الناس.

هذا كله يتم أمام مرأى ومسمع من الجهات المعنية بحماية المواطن المغربي من زعزعة عقيدته، فما يكاد يخلو حي من أحياء المدن الكبرى أو الصغرى -خاصة الأحياء الشعبية- إلا ويوجد به مقرات ومحلات للسحرة والمشعوذين الذين يعاقرون هذا الشرك البواح، مضللين الناس عن صراط رب العباد، والفرار إليه سبحانه، والتضرع بين يديه.

ونحاول من خلال هذا الملف أن نضع بين يدي القارئ الكريم صورة توضح المراد وتبلغ المقصود، معتمدين في ذلك بعد الله تعالى على ما ورد في القرآن والسنة وما اتفق عليه علماء الملة، فما عدا ذلك فهو ضرب من الخيال، ونوع من الكذب، وتخبط وتلبيس.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

الجن
مخلوقات حقيقية
أم هي محض خيال وخرافة؟!

"هناك من العوالم ما تعتبر مجهولة تماما للإنسان فهي ليست من ذات العوالم التي يستطيع أن يصل إليها بأساليبه التي يعرفها، وهي ليست بالصورة التي يعهدها، إنها عوالم مجهولة، ومن ضمن هذه العوالم المجهولة: عالم الجن وعالم الملائكة، وإن العلم إذ بدا يثبت وجود هذه العوالم فإنه لا سبيل عنده حتى الآن لأن يعرف عنها المزيد، وإن القرآن الكريم قد تكفل -سابقا العلم بعشرات المئات من السنين- ببيان هذه العوالم..

والجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان" .(عالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر).

الجِنُّ: ضد الإنس، والواحد جِنِّيٌّ، سميت بذلك لأنها تتوارى عن الأنظار ولا تُرى.

أما الشياطين: فجمع شَيطانٌ، وهو كل عات متمرد سواء من الإنس أو الجن أو الدواب، وعليه فالشياطين ليسوا سوى عتاة الجن ومردتهم.

قال ابن عقيل: إنما سمي الجن جنا لاستجنانهم واستتارهم عن العيون، وسمي الجنين جنينا والجُنَّة للحرب جنة لسترها، والمجن مجنا لستره للمقاتل في الحرب.

وقال الجوهري: كل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب شيطان.

قال ابن عبد البر رحمه الله: "الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب: فإذا ذكروا الجن خالصا قالوا: جني.. فإن أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس، قالوا: عامر والجمع عمّار وعوامر.. فإن كان ممن يعرض للصبيان، قالوا: أرواح.. فإن خبث وتعزم فهو شيطان.. فإن زاد على ذلك فهو: مارد.. فإن زاد على ذلك وقوي أمره، قالوا: عفريت، والجمع: عفاريت والله أعلم بالصواب".

قال إمام الحرمين في كتاب الشمائل: "**اعلموا رحمكم الله أن كثيرا من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأسا**، ولا يبعد لو أنكر من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار"، ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة، وقال: "ودلَّ إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة دياناتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته".

قال القاضي أبوبكر الباقلاني: "وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون وجودهم الآن، ومنهم من يُقِرُّ وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها، ومنهم من قال: إنما لا يرون لأنهم لا ألوان لهم، ثم قال إمام الحرمين: (والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف مع **إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين**، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين)، ثم ساق عدة أحاديث وقال: فمن لم يرتدع بهذا وأمثاله فينبغي أن يتهم في الدين ويعترف بالانسلال منه، على أنه ليس في إثبات الشياطين ومردة الجن ما يقدح في أصل من أصول العقل وقضية من قضاياه، وأكبر ما يستروحون إليه حضور الجن بنا ونحن لا نراهم ولو شاءت أبدلت لنا أنفسها، وإنما يستبعد ذلك من لم يحط علما بعجائب المقدورات، وقولهم في الجن يجرهم إلى إنكار الحفظة من الملائكة عليهم السلام ومن انتهى بهم المذهب إلى هذا وضح افتضاحه".

قال الشيخ أبو العباس شيخ الإسلام بن تيمية: "**لم يخالف أحد من طوائف المسلمين وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك**، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواترا معلوما بالاضطرار، إنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان وغيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء عليهم السلام تواترا ظاهرا يعرفه العامة والخاصة، لم يكن طائفة من طوائف المؤمنين بالرسل أن ينكرهم..".

ذكر ابتدائهم ومادة خلقتهم

خلق الله عز وجل الجن قبل أن يخلق الإنس بمدة لا يعلم زمنها إلا الله عز وجل حيث يقول جل شأنه: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ **مِن قَبْلُ** مِن نَّارِ السَّمُومِ" الحجر، وهذه القَبْلِيَّة معناها الفترة الزمنية التي عمر وسكن فيها الجن كوكب الأرض قبل الإنسان، وقال سبحانه وتعالى كذلك: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ" الذاريات.

قال الألوسي رحمه الله تعالى: "ولعل تقديم الجن في الذكر لتقدم خلقهم على خلق الإنس في الوجود" (روح المعاني).

أما مادة خلقهم فهي النار، بدليل لقوله تعالى: "وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ" (الحجر) وسميت نار السموم: لأنها تنفذ في مسام البدن لشدة حرها، وقال تعالى: "وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ" (الرحمن)، والمارج أخص من مطلق النار لأنه اللهب الذي لا دخان فيه، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم".

ولا يخفى أن خلق الجان من نار لا يلزم منه أن أشكالهم وهيئاتهم كالنار، فالبشر خلقوا من تراب وليسوا كذلك، ولكن يؤخذ منه أن في الجن صفات من صفات النار كالخفة واللطافة، مثلما للبشر من صفات التراب كالثقل والكثافة.

قال رسول صلى الله عليه وسلم: "الجن ثلاثة أصناف، فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون".(صحيح الجامع 3114).

وجنس الجن كجنس الإنس فيهم الذكور والإناث، يأكلون ويشربون.. قال تعالى: "وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً (الجن). وفي حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاءَ فليقل: اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخَبَائث" (والخُبُث بضم الخاء والباء: ذكور الجن، والخبائث: إناثهم)،

وقد أثار البعض سؤالاً قديماً وهو أنه: إذا كان الجن قد خلقوا من النار، فكيف يعذبون بها؟

وأجاب عن ذلك ابن عقيل في كتابه "الفنون" فقال: "اعلم أن الله تعالى أضاف الشياطين والجن إلى النار حسب ما أضاف الإنسان إلى التراب والطين والفخار، والمراد به في حق الإنسان أن أصله: الطين، وليس الآدمي طينا حقيقة، ولكنه كان طينا، كذلك الجان كان ناراً في الأصل، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عرض لي الشيطان في صلاتي فخنقته حتى وجدت برد لعابه على يدي" ومن يكون ناراً محرقةً كيف يكون لعابه أو ريقه بارداً أو له ريق أصلا!!

ومما يدل على أن الجن ليسوا بباقين على عنصرهم الناري؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي" وبيان الدلالة منه؛ أنهم لو كانوا باقين على عنصرهم الناري..؛ لما احتاجوا إلى أن يأتي الشيطان أو العفريت منهم بشعلة من نار، ولكانت يد الشيطان أو العفريت أو شيء من أعضائه إذا مس ابن آدم أحرقه، كما تحرق الآدمي النار الحقيقية بمجرد المس"اهـ، وبهذا يعلم أنه كما يتأذى الإنسان من ضربه بالطين والحجر، مع أنه خلق من طين، فإن الجن يتأذون ويحترقون بالنار مع أنهم خلقوا منها.

هذه نصوص ونقول مستقاة من كلام علماء الإسلام المعتبرين تغنينا عن الخوض والبحث في عالم الجن بطرح احتمالات وافتراضات تمزق فكر الإنسان وتشتته، لأن هذه المسألة من القضايا التوقيفية التي لا مجال للاجتهاد فيها ومن المسائل الغيبية التي لا مجال لخوض العقل فيها..

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

أسباب المس والصرع

للصرع أسباب عديدة لا يمكن استقصاؤها كلها، لكن يمكن الإشارة إلى أهمها وأبرزها، وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أهمها بقوله:

"وصرعهم للإنسان قد يكون عن شهوة، وهو كما يتفق للإنس مع الإنس، وقد يتناكح الإنس والجن.. وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن، وقد يكون -وهو كثير- عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم تعمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم وإن كان الإنسي لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الناس". (البيان المبين في أخبار الجن والشياطين، ص:65-66).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه وصرع الجن هو لأسباب ثلاثة:

-تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل.

-وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حار، أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى، هذا أشد الصرع. **وكثيراً ما يقتلون المصروع.**

من هنا يمكن إجمال أسباب مس الجن للإنس فيما يلي:

1- **عشق الجن للإنس**: وذلك في حالة "كشف العورة في البيت **دون ذكر الله تعالى**، وقد يكون هناك من الجن العامر أو الطرق من يراها فيعجب بها ويتعشقها..، ومن ذلك دخول الخلاء للغسل والاستحمام **دون ذكر الله تعالى قبل الدخول**، كذلك جماع الرجل أهله **دون ذكر الله تعالى قبل الجماع**..". (المنهج القرآني في علاج السحر والمس الشيطاني ص: 63-62).

2- **ظلم الجن للإنس**: حيث يكون الجني محباً للظلم فيتعدى على الإنسي بدون سبب، وهذا النوع من الجن يبحث عمن تكون نفسه ضعيفة وشخصيته مهزوزة للتلبس به.

3- **البعد التام عن شرع الله**: حيث نجد أغلب المصابين بالمس والصرع ممن ترك أوامر الله واتبع هواه، وحكمه في حياته كبديل عن المنهج الإلهي، ولا يلتزم بآداب السنة في الدخول إلى الخلاء والنوم..، فيكون بذلك لقمة سائغة سهلة للشيطان، ويدخل الجني في بدن الإنسان كما سبق الذكر عندما تكون شخصيته ضعيفة مهزوزة أو يترصده حتى يضعف، وهذا الضعف والاهتزاز في الشخصية يكون في أربع حالات:

-1 **الغضب الشديد.**

-2 **الخوف الشديد.**

-3 **الانكباب على الشهوات.**

-4 **الغفلة الشديدة.**

وهذا كله مع إمكان أن يؤذي الجنيّ الظالم العبد الصالح أو الأمة الصالحة، ابتلاء من الله تعالى لهما لرفع درجتهما، كما في قصة أم زفر رضي الله عنها: فعن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: "ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت **صبرت ولك الجنة**، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك؟ فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها". (متفق عليه).

والظاهر أن الصرع الذي كان بهذه المرأة الصالحة كان من الجن.

قال الحافظ بن حجر في الفتح: "وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس في نحو هذه القصة أنها قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني، -والخبيث هو الشيطان- فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها.. ثم قال: وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط" اهـ. (فتح الباري 115/10).

أنــواع الصــرع
التفريق بين الصرع الطبِّي والصرع الجنِّي

إن البحث في هذه المسألة يعتمد أساسا على واقع التجربة والخبرة والممارسة، ولا يعتبر الخوض في هذه المسميات أمورا تندرج تحت الأمور الغيبية، ولا تعتبر كذلك أمورا مسلما بها، ليست عرضة للتبديل أو التحريف.

لذلك يلاحظ الاختلاف في تلك المسميات من باحث لآخر، مع أنها تدور حول معنى واحد وقاسم مشترك، وتلك الألفاظ لا تعدو إلا أن تكون اجتهادا مبنيا على واقع معاصر عايشه المعالجون طيلة سنوات من الخبرة والبحث والدراسة، وهذا الاجتهاد لا تبنى عليه أية أحكام شرعية أو مساس بأصول العقيدة والمنهج.

الصرع العضوي
(الطبي- صرع الأخلاط)

قال الحافظ في الفتح: "انحباس الريح قد يكون سبباً للصرع وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسية من انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء، فلا يبقى الشخص معه منتصباً بل يسقط، ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة". (فتح الباري 100/10).

يقول الدكتور حسني مؤذن الأستاذ بجامعة أم القرى: "الصرع العضوي ينتج عن وجود بؤرات صرعية في المخ، في أغلب الأحوال نشأت بسبب التهاب في الدماغ في السابق، أو بسبب خبطة شديدة تعرض لها الدماغ، وتسبب هذه البؤرات نشاطا كهربيا زائدا في المخ، ويمكن الكشف عن هذا النوع من الصرع بواسطة جهاز رسم المخ الكهربائي، ويكون لهذا النوع مقدمات، كالصداع أو القلق أو زغللة في العين أو صفير في الأذن وتأخذ النوبة الصرعية شكلا مميزا، فتبدأ بصرخة من المريض يعقبها وقوعه فجأة على الأرض، مع تيبس وتخشب كامل في كل جسمه، ثم تبدأ عضلاته في الاختلاج بشدة، ويعض أثناءها على لسانه، أو يتبول على نفسه، ويزرق لونه، ثم يبدأ بعد ذلك في التنفس بشدة، مع ظهور رغوة في الفم، وتستمر هذه النوبة لعدة دقائق، ثم يفيق المصروع، وقد يستمر في غيبوبته لفترة معينة".

صرع الجـن للإنـس

إن الله سبحانه وتعالى جعل قدرة للجن والشياطين يستخدمونها في التسلط على الإنس بالإغواء والإضلال والوسوسة، وكذلك فإن لهم القدرة على التسلط على جسد الإنسان بإمراضه بأنواع من الأمراض كالصرع والصداع ونحوه، فتجد المصاب بالصرع يتخبط في حركاته وتصرفاته، ولا يعقل من ذلك شيئا، وسبب ذلك تسلط الكفرة والفسقة والعصاة من الجن على عقله وجسمه بحيث يصل إلى هذا الحال، وما كان ذلك التسلط إلا بسبب العداوة المتأصلة بينهما.

قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: "وقد يكون الصرع من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذية به، **والأول**: هو الذي يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه، **والثاني**: يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولا يُعرف له علاج إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية ليندفع آثار الأرواح الشريرة السّفلية، وتبطل أفعالها، وممن نص منهم على ذلك "أبقراط"، فقال لما ذكر علاج المصروع هذا: إنما ينفع في الذي سببه أخلاط، وأما الذي يكون من الأرواح فلا" (فتح الباري، 101/10).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "والصرع نعوذ بالله منه نوعان:

1- **صرع بسبب تشنج الأعصاب**: وهذا مرض عضوي يمكن أن يعالج من قبل الأطباء الماديين بإعطاء العقاقير التي تسكنه أو تزيله بالمرة.

2- **وقسم آخر بسبب الشياطين والجن**: يتسلط الجني على الإنسي فيصرعه ويدخل فيه ويضرب به على الأرض ويغمى عليه من شدة الصرع ولا يحس.

ويتلبس الشيطان أو الجني بنفس الإنسان ويبدأ يتكلم على لسانه، والذي يسمع الكلام يقول أن الذي يتكلم الإنسي ولكنه الجني! ولهذا تجد في بعض كلامه الاختلاف لا يكون ككلامه وهو مستيقظ لأنه يتغير بسبب نطق الجني.

هذا النوع من الصرع -نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منه ومن غيره من الآفات- هذا النوع علاجه بالقراءة من أهل العلم والخير.

أحيانا يخاطبهم الجني ويتكلم معهم ويبين السبب الذي جعله يصرع هذا الإنسي، وأحيانا لا يتكلم وقد ثبت هذا!! أعني صرع الجني للإنسي بالقرآن والسنة والواقع" (شرح رياض الصالحين، 177/1، 178).

الصرع أو دخول الجان بدن الإنسان وتلبسه به
حقيقة أثبتها الشرع والعقل والحس والتجربة

وقال عبد الله بن الإمام أحمد -إمام أهل السنة-: "قلت لأبي: إن قوماً يزعمون أن الجنيّ لا يدخل في بدن الإنسي فقال: يا بني يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه".

ارتفعت في الآونة الأخيرة كثير من الأصوات التي تنكر تلبس الجن بالإنس (المس والصرع والاقتران الشيطاني) خاصة حاملي الفكر الاعتزالي وأصحاب المدرسة العقلية، وهذه الظاهرة في حقيقتها ليست وليدة هذا القرن إنما هي تقليد أعمى لبعض من سبق في بحث هذا الأمر.

المس لغة: مسِستُ الشيء بيدي مسا، ورجل ممسوس من الجنون، وبه مس. (العين 908)

قال ابن منظور: "ثم استعير المس للجنون كأن الجن مسته، يقال به مس من جنون" (لسان العرب 218/6).

المس اصطلاحا: "هو تعرض الجن للإنس بإيذاء الجسد خارجيا أو داخليا أو كليهما معا، بحيث يؤدي ذلك لتخبط في الأفعال مما يفقد المريض النظام والدقة والأناة والروية في أفعاله، وكذلك يؤدي للتخبط في الأحوال فلا يستقر المريض على حالة واحدة".

قال صاحبا الكتاب المنظوم فتح الحق المبين: (والمس اصطلاحا: أذية الجن للإنسان من خارج جسده أو من داخله أو منهما معا، وهو أعم من الصرع) (فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين، ص 61).

مسألة الصرع من الوجهة الشرعية

إن مسألة صرع الجن للإنس من المسائل المقررة عند علماء أهل السنة والجماعة، وقد نقل غير واحد من أثبات أهل العلم اتفاق أهل السنة عليها، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (9/19، 32، 65-277/24)، وابن القيم في زاد المعاد (66/4، 67) وبدائع التفسير (435/5، 436) وإغاثة اللهفان (132/1) والطب النبوي (ص 68-69)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (334/1-267/2)، والطبري في جامع البيان في تأويل القرآن (102/3)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (230/3، 355)، والألوسي في روح المعاني (49/2)، والقاسمي في محاسن التأويل (701/3)، وابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير (82/3)، والفخر الرازي في التفسير الكبير (89/7)، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار (366/8)، والحافظ بن حجر في فتح الباري (342/6-628/10، 115)، والنووي في صحيح مسلم بشرح النووي(3 ، 2 ، 477/1 - 15 ، 14 ، 13 / 331 - 18 ، 17 ، 16 / 102، 415)، والشبلي في آكام الجان ص: (115-114)، والشوكاني في نيل الأوطار (203/8)، وابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (14/5)، وبرهان الدين البقاعي في نظم الدرر (112/4)، ومحمد الحامد الحموي في ردود على أباطيل 135/2، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (8/2)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (590/2-591)، وابن منظور في لسان العرب (225/9)، والعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في الصحيحة (ح. 2918، 2988)، والعلامة عبدالعزيز بن باز، والشيخ بن عثيمين في مجموع الفتاوى (156/1-157، 299)، والشيخ عطية محمد سالم في العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسنة (ص:23)، وعبد الله بن حميد في الرسائل الحسان في نصائح الإخوان (ص:42)، والشيخ أبو بكر الجزائري في عقيدة المؤمن (ص: 230) وغيرهم كثير..

ونذكر في سياق هذه المسألة كلاماً جميلاً لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث سئل عن حقيقة وأدلة أن الجن يدخلون الإنس، قال رحمه الله:

"نعم هناك دليل من **الكتاب والسنة** على أن الجن يدخلون الإنس، فمن القرآن قوله تعالى: **"الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ"** البقرة، قال ابن كثير رحمه الله: "لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له"، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: **"إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"** متفق عليه.

قال الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة: "إنهم - أي أهل السنة- يقولون إن الجنيّ يدخل في بدن المصروع"، واستدل بالآية السابقة.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد -إمام أهل السنة-: "قلت لأبي: إن قوماً يزعمون أن الجنيّ لا يدخل في بدن الإنسي فقال: يا بني **يكذبون** هو ذا يتكلم على لسانه".

وقد جاءت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواها الإمام أحمد والبيهقي، أنه أتي بصبي مجنون فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"أخرج عدو الله، أخرج عدو الله"**، وفي بعض ألفاظه: **"أخرج عدو الله أنا رسول الله"**، فبرأ الصبي.

فأنت ترى أن في هذه المسألة دليلاً من القرآن الكريم ودليلين من السنة، وأنه قول أهل السنة والجماعة وقول أئمة السلف، والواقع يشهد به، ومع هذا لا ننكر أن يكون للجنون سبب آخر من توتر الأعصاب واختلال المخ وغير ذلك" اهـ، (مجموع فتاوى ورسائل 1/ 293، 294).

ثم إنه لم ينقل الخلاف في هذه المسألة إلا عن بعض أفراد الرافضة والمعتزلة، أو من تأثر بعقيدتهم ومنهجهم من المنتسبين إلى أهل السنة، وليس مع المنكرين لتلك المسائل سواء كانت متعلقة بالصرع أو السحر أو العين كذلك، سوى شبهات عقلية واهية، وحجج نظرية متهاوية، مثل ما نقله الغزالي رحمه الله وصاحب كتاب "الأسطورة التي هوت" إذ عمدا إلى تحكيم العقل في تقرير المسائل وإصدار الحكم عليها، ولا يخفى على كل مسلم أن هذا الاتجاه يخص أصحاب المدرسة العقلية.

ولا ينكر مسلم قط أهمية العقل بالنسبة للإنسان، فالحق جل وعلا خاطب العقل في كثير من الآيات المحكمات، إلا أنه لا يجوز مطلقاً أن يترفع الإنسان بعقله فوق الأمور المادية المحسوسة ليخوض في قضايا غيبية لم ولن يصل إليها وإلى طبيعتها وكنهها مهما بلغ من العلم والمعرفة، فقضايا الغيب تقرر من خلال **الوحي**، من خلال **النصوص النقليّة الصحيحة**، وليس لأحد كائنا من كان أن يدلو بدلوه في هذه المسائل دون الدليل النقلي الذي يؤكد ذلك، والعقل الصريح لا ينكر أيا من مسائل الصرع والسحر والعين، بل يدل على إمكانية وقوعها وحدوثها فعلاً.

العلاقة بين الجن والإنس علاقة قد تؤثر فيها الماديات لكلا الطرفين

أما أن يقال بأن الجن عالم لا تؤثر فيهم الماديات كما هو معروف بالنظر، فهو كلام عام وباطل، فالعلاقة بين الجن والإنس علاقة قد تؤثر فيها الماديات لكلا الطرفين، والأدلة والشواهد من السنة الصحيحة تؤكد ذلك، فقد ثبت من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار، ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك -ثلاث مرات- ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر -ثلاث مرات- ثم أردت أن آخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة"** (مسلم، صحيح الجامع 2108)، وفي رواية: **"فخنقته حتى شعرت ببرد لعابه"**.

ومن هنا فإن علماء الأمة يقررون الآثار المادية بين عالم الإنس وعالم الجن، وبالتالي فإن علاقة الجان بالإنسان قد تتعدى الدخول والتلبس؛ لتصل إلى الإيذاء، والمس، والصرع، والخطف، والقتل، وغيره، لا سيما أن التجربة تعضد ذلك، وهي خير شاهد عليه.

يقول الدكتور عبدالكريم عبيدات: "الاتصال بين الجن والإنس اتصال من نوع خاص، يختلف فيه عن الاتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان، بل هو اتصال يناسب طبيعة كل منهما، وفي الحدود التي رسمتها سنن الله تعالى وقوانينه الكونية والشرعية، والجن موجودون في كل مكان يكون فيه إنس، ضرورة أن يكون لكل إنسي شيطاناً وهو قرينه من الجن كما ورد في الحديث، وهم على هذا يحضرون جميع أحواله وتصرفاته، لا يفارقونه إلا أن يحجزهم ذِكر الله تعالى.

والجن مسلَّطون على الإنس بالوسوسة والإغواء تارة، وتارة أخرى يلبسون جسم الإنسان، فيصاب عن طريقهم بمرض من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج، وقد يُضلون الإنسان عن الطريق، أو يسرقون له بعض الأموال، أو يعتدون على نساء الإنس، وغير ذلك" (عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، ص:254).

قوله تعالى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" البقرة، قال ابن كثير رحمه الله: "لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له"، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" متفق عليه.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

العلم المادي يثبت الصرع لا ينفيه
العلماء الغربيون يثبتون والمعتزلة والعقلانيون ينفون

إن العلوم الطبية قديمها وحديثها ليس فيها ما ينفي -من الناحية العلمية المحضة- إمكانية وقوع التلبس أو المس أو الصرع، بل على العكس من ذلك تماماً فقد أكّد علماء الغرب والمتخصصون في مجالات الطب المتنوعة إمكانية حصول ذلك، وليس مع الفئة التي أنكرت هذه المسائل إلا النفي المجرد، وأما المثبتون: فعموم الأدلة الشرعية، ولوقائع التجربة، والحس، والمشاهدة.(انظر منهج الشرع في بيان المس والصرع، المبحث التاسع: موقف الأطباء في العصر الحديث).

وقد اختلفت كلمة الأطباء المعاصرين في حقيقة الصرع وأسبابه، لكن كلمتهم جميعا -منكرين ومثبتين- متفقة على أن ما خفي عليهم من حقيقة الصرع وأسبابه أضعاف ما عرفوه.

قال الأستاذ زهدي المصري (أخصائي تربية خاصة): "الأسباب المعروفة للصرع لا تتجاوز نسبة 20% من الأسباب، والنسبة الباقية من الأسباب غير معروفة لحد الآن".

قال الشيخ علي حسن الحلبي: "وهذا -تماما- يتوافق مع الكلام القيِّم الذي ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قبل أكثر من سبعة قرون في كتابه القيِّم زاد المعاد (4/66-70) حيث قال: "الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني: هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.

وأما صرع الأرواح، **فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه**، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نصَّ على ذلك "بقراط" في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: **هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج.**

وأما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهد به، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها.

وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع: المرض الإلهيَّ، وقالوا: إنه من الأرواح، وأما "جالينوس" وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية، وقالوا: إنما سمّوه بالمرض الإلهيِّ لكون هذه العلة **تحدث في الرأس**، فتضرُّ بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ!

وهذا التأويل نشأ من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها وتأثيرها، وجاء زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده.

ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيرها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم" اهـ.

قال الشيخ علي الحلبي: "وهذا كلام علمي محرَّر، مبني على **العلم بالشرع، والمعرفة بالطب** والوقوف على **الحس والمشاهدة**.

وليس هو ككلام من يهرف بما لا يعرف، فيخبط خبط عشواء فينسخ -بل يمسخ- في الصباح ما قرره في المساء، كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا!!" اهـ. (برهان الشرع في إثبات المس والصرع).

يقول الدكتور "جيمس هايسلوب" في كتابه عن (المس): "إنه تأثير خارق في العادة تؤثر به شخصيَّة راعية خارجية في عقل شخص وجسمه، **ولا يمكن إنكاركنه المس**".

ويرى بعض الأطباء كالدكتور "كارل ويكلاند" إن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطرابا واختلالا في اهتزازاته، وأنه بالكهرباء الاستاتيكيَّة تنظم الاهتزازات، وتطرد الشخصية المستحوذة، ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة أخرى.

ويعرف المس أيضا، بأن الأرواح الخبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث في ظروف خاصة اضطرابات جسمية أو عقلية خطيرة لبعض الناس.

الذهاب إلى السحرة والعرافين والمشعوذين لفك المس والصرع

..يتلو الساحر بعض العزائم الكفرية التي تحتوي على طلاسم فيها تقرب وعبادة للأرواح الشيطانية الخبيثة لرفع المعاناة والبلاء، وبوصف أنواع من البخور (كالجاوي والفاسوخ والشبة والحرمل والداد..) التي تطرد الأرواح الخبيثة حسب زعمهم، وتعليق الأحجبة التي تشتمل على العزائم والطلاسم الكفريَّة، وغيرها من الوسائل الشيطانية التي يلبسون بها على الناس الجهلة.

إن أعظم ما بعث الله به رسله وأنبيائه هو تعليق العباد برب العباد إيماناً ومحبةً وإخلاصاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً وإنابةً في كل الحالات رخاءً وشدة في السراء والضراء.

ولقد بذل الرسل عليهم الصلاة والسلام أوقاتهم وجهدهم وأنفسهم من أجل هذا الأمر خاصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي المقابل فإن رسولنا حذّر من كل سبب يقطع هذه العلاقة أو يضعفها، ومن أعظم هذه القواطع الذهاب إلى السحرة والكهنة والعرافين لفك المس أو السحر أو العين أو غير ذلك، فعند مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**"، تأمل أيها القارئ الكريم هذا الوعيد الشديد، هذه الصلاة التي هي أعظم أركان الدين بعد الشهادة، وهي سبب النجاة يوم القيامة؛ لا يتقبلها الله هذه المدة الطويلة (40 ليلة).



بالله لو مات في خلال هذه الفترة كيف يلقى الله؟

ولو عاش فإن (200) صلاة فريضة لم تقبل منه، أي خسارة، وأي حرمان أشد من هذا الحرمان، بل ظاهر الحديث قد يشمل النوافل؛ لأن (صلاة) نكرة فتعم، هذا الوعيد الشديد فيمن ذهب لمجرد السؤال، أما إذا ذهب وهو مصدق له فإن الجرم أعظم، والذنب أكبر.

فعند الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "**من أتى ساحراً أو عرافاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**" (قال محقق المسند إسناده صحيح على شرط مسلم 331/15).

السحرة وفك المس

يلجأ السحرة في علاج الصرع بالإيعاز للمريض بالذبح لغير الله، وذلك بذبح حيوان أسود وغالبا ما يكون من الضأن أو الغنم ونحوه، دون أن يذكر اسم الله عليه، ومن ثم يتلو الساحر بعض العزائم الكفرية التي تحتوي على طلاسم فيها تقرب وعبادة للأرواح الشيطانية الخبيثة لرفع المعاناة والبلاء، وبوصف أنواع من البخور (كالجاوي والفاسوخ والشبة والحرمل والداد..) زعما منهم أنها تطرد الأرواح الخبيثة، ويطلبون منهم تعليق الأحجبة التي تشتمل على العزائم والطلاسم الكفريَّة، وغيرها من الوسائل الشيطانية التي يلبسون بها على الناس الجهلة، وقد تكون هذه الأحجبة ليس فيها إلا كلمات من القرآن لكن يكتبها السحرة الكفرة الفجرة بدم الحيض أو البول مع الزعفران أو الغائط.

إن التصرف في هذا الكون والذي يملك الأمر والنهي هو الحق سبحانه وتعالى، وادعاء مثل تلك الأفعال ناقض من نواقض الإيمان والتوحيد الذي هو العلم والإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه والمدبر لأمور خلقه جميعهم.

فهذا الكون بسمائه وأرضه وأفلاكه وكواكبه ودوابه وشجره ومدره وبره وبحره وملائكته **وجنه وإنسه**، خاضع لله مطيع لأمره الكوني كما قال تعالى: "**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**" (آل عمران).

فإذا حقق العبد هذا التوحيد عرف بأن كل شيء بأمر الله، فلا يقع أمر ولا يحل خير أو يرتفع شر إلا بأمره سبحانه وتعالى وهذا يجعل العبد يدعوه سبحانه في كل نائبة.

قال تعالى: "**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**" (يونس).

وكافة تلك العهود التي يدعيها الحرة كـ (العهود السليمانية السبعة) تزخر بالكفر والشرك، وفيها لجوء واستغاثة بغير الله سبحانه، وتحتوي على كثير من الطلاسم والعزائم التي لا يفقه معناها، وكذلك تحتوي على رسوم للنجوم والمربعات والأحرف وأسماء الجن ونحو ذلك من كفر وشرك صريح.

إن الإسلام يسمو بتعاليمه عن كافة تلك الممارسات والأفعال الشيطانية الخبيثة، والإسلام شرَّع الشرائع في كافة نواحي ومجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية ونحو ذلك، وكل ذلك لتحقيق سعادة البشرية في الدارين الدنيا والآخرة.

العدد 28 - 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

أعراض المس النفسية والجسمية والروحية

يستطيع الشيطان أن يمس الإنسان بحيث يجعله يتخبط، والتخبط المطلق هو: التخبط في الحركة، فلا يستطيع الإنسان التحكم في سيره، فيسير وكأنه يترنح من دوار ودوخة، ويحس كأن الأرض تميد به، أو يفقد القدرة على تقدير الخطوة المتزنة لقدميه، أو حساب المسافة الصحيحة.

..فالتخبط ما هو إلا فقدان الإدراك الصحيح من الإنسان، لأي شيء يهم به أو يفكر به، وبديهي أن هذه علامات الجنون. (الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة).

وننقل هنا كلاماً **للدكتور ياسر عبد القوي** من كتابه "**الأمراض النفسية** "، -وهو كتاب يعرض حقيقة الأمراض النفسية وكيفية معالجتها- قال:

"للمسّ أعراضه وآثاره التي تميزه وإن كانت تتشابه مع بعض الأعراض النفسية، وأحياناً يكون التشابه شديداً وأهل الخبرة والدراية فقط هم الذين يستطيعون التفريق بينهما، ولهذا يجب الحيطة والحذر الشديدين في التعامل مع الأعراض لإعطاء التشخيص الصحيح، وهذه الأعراض كثيرة، فمنها النفسية والجسمانية والروحية.

أولاً: الأعراض النفسية

1- **نوبة الصرع**: ويصف هذا العرَض المحيطون بالمصروع، ويتميز صرع الجن بالآتي:

أ- أسباب نوبة الصرع: هناك أمور تساعد على ظهور هذه النوبة، مثل ضغط نفسي أو حزن شديد أو صدمة عصبية أو بسبب سماع القرآن الكريم أو ذكر الله أو درس من دروس العلم، أو الحديث عن أحوال الجن وعالمهم، أو شم بعض الروائح التي يحبونها كالبخور مثلاً، وأحياناً لا يكون بسبب واضح.

ب- فقد وعي: إما أن يكون تاماً أو غير تام مصاحباً برعشة وارتجاف واختلاط الأعضاء أولاً، ولكنه غالباً لا يكون معه عضة لسان أو تبول لا إرادي، وهذا ما يفرقه غالباً عن الصرع العصبي.

ج- نطق أو تكلم أثناء النوبة: قد يحدث نطق بصوت مختلف أو بطريقة مختلفة أثناء النوبة وغالباً ما يكون بطريقة مفهومة، وأحياناً لا يكون صوت كلام وإنما بكاء وصراخ.

د- رسم المخ (تخطيط المخ) يكون سليماً: ولهذا فإن هذا الصرع يشبه إلى حد بعيد الصرع الهستيري لا الصرع العصبي.

هـ- قراءة القرآن على المريض أثناء النوبة قد تساعد على إفاقته على غير العادة.

2- **تسلط الوساوس على المريض بصورة مكثفة**: وهي الوساوس التي تصده عن الذكر والعبادة، أو تأمره بمعصية، أو تهيجه إلى إثم، أو تنفره من أهل الخير ومن أهله وزوجه، وهذه الوساوس غالباً يعبر عنها المريض أنها صادرة من نفسه أو من صوت في صدره.

3- **الحزن والعصبية** وانقباض الصدر في فترات كثيرة أثناء اليوم دون سبب واضح.

4- **العصبية الشديدة والاستثارة لأتفه الأسباب** والتفوه بكلام لا يتذكره المريض بعد هدوئه، وهذا مصداق قول النبي في الحديث الصحيح لما نصح رجلاً غاضباً بأن يقول كلمة تذهب عنه ما يجد "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

5- **الشرود الذهني المتكرر** والذي يستغرق فترة ليست بالقصيرة من اليوم، فدائماً يشكو المريض بالمس من الشرود والتفكير في لا شيء، وربما يمكث الممسوس ساعة من الزمن شارداً حتى لا يشعر أنه قضى هذه الساعة وكأنه لم يعشها.

6- **النسيان لبعض الأحداث أثناء فترة تعبه**، سواء أكانت أفعالاً أم أقوالاً، ولا يتذكرها تماماً وربما يستنكرها ويستغربها وقد فعلها.

7- **الخوف والهلع كثيراً ما ينتاب الممسوس**: حالات خوف أو أحياناً هلع بين الحين والآخر وقد تستمر ولا سيما ليلاً، وكثيراً ما يكون الخوف شديداً يمنع من الحياة الطبيعية وكذا النوم الطبيعي.

8- **الأرق**: كثيراً ما ينتاب الممسوس إما في بداية النوم وإما في منتصف الليل.

9- **الفزع**: أثناء النوم والأحلام المزعجة (الكوابيس) يشكو كثير من الممسوسين منها، وأنها توقظهم من النوم.

10- **صدود المرأة عن الزواج وكذا الرجل**: كثيراً ما تتعرض الممسوسة للصدود في مواضيع الخطبة والزواج دون أسباب ظاهرية.

11- **إيثار الجلوس في الحمامات لمدة طويلة**: هذا العرَض يظهر في كثير من الممسوسين وهو ميل إلى الجلوس في الحمامات والخرابات وأماكن النجاسات.

ثانياً: أعراض جسمانية

1- **الصداع**: فهو مصاحب لمعظم حالات المس وهو شديد، ولا يتأثر بالأدوية المسكنة، وكثيراً ما يرتبط بتعرض المريض للحزن أو الغضب أو عند قراءة القرآن وسماعه له، أو لعدم تنفيذ رغباته، ولا يكون للصداع ما يفسره من الأسباب العضوية.

2- **آلام الظهر**: آلام مؤخر الظهر مشتهرة عند الممسوسين وهي لا تعزى لأسباب عضوية.

3- **آلام متفرقة**: في الجسد ومتنقلة، ولا تعزى لأسباب عضوية وغالباً تزداد عند الاستيقاظ.

4- **النزيف**: والذي يعزى إلى الاستحاضة والتي كما فسرها النبي إنها ركضة من ركضات الشيطان وليست حيضاً.

5- **آلام المعدة**: أحياناً يشتكي منها الممسوس دون سبب عضوي ودائماً تكون في منطقة فم المعدة وأحياناً انتفاخ البطن.

6- **تنميل في بعض الأعضاء** (اليدين والقدمين وأحياناً الرأس واللسان).

7- **فقدان وظيفة بعض الأعضاء** مثل (الشلل، العمى، الخرس، الصمم)، وهذا الفقدان الوظيفي ليس له سبب عضوي على الإطلاق والأطباء يؤكدون أن العضو سليم تماماً.

8- **آلام الجماع الجنسي وتقلص العضلات**: هذه الأعراض تظهر من الممسوسة كنوع من أنواع إبعاد الجني الصارع لزوجها عنها.

ثالثاً: أعراض روحية:

ونقصد بها المتعلقة بجانب العبادة والصلة بالله تعالى:

1- **الصدود عن ذكر الله** وعن الصلاة وعن قراءة القرآن أو سماعه، وعن مجلس العلم وغيره.

2- **الشعور بالتعب** وحصول بعض الأعراض النفسية والجسدية إذا حاول الممسوس المواظبة على الذكر أو الصلاة أو قراءة القرآن أو سماعه.

3- **الإعراض عن الطاعة** والإقبال على المعاصي المتمثلة في التبرج والسفور وسماع الغناء والموسيقى وطاعة الهوى وحب اللهو والبعد عن المساجد والتعب إذا جلس فيها والشعور بالضيق عند الوجود فيها.

4- **تغير في السلوك**، وهذا دائماً من جانب الزوج مع زوجته والزوجة مع زوجها، حيث قد يحدث النفور وإذكاء جمرة الخلافات بينهما على أتفه الأسباب، وكثيراً ما يحدث تغير في السلوك الجنسي بين الزوجين (نفور، إعراض، تعب أثناء ممارستها).

5- **أفكار خبيثة واهتزاز عقيدة**: دائماً يشكو منها الممسوس متمثلة في التشاؤم وتوقع المكروه دائماً وعدم الرضا بأقدار الله وسرعة اليأس والقنوط من رحمة الله، وأفكار تبثُّ الحزن في نفس المريض وتبعد عنه حسن الظن بالله أو الأمل في رحمته.

6- **خمول وكسل تجاه العبادات** كالصلاة والذهاب إلى المساجد، وقراءة الأذكار وغيرها، وأحياناً كثرة النوم بالنهار والليل.

هذه جملة من الأعراض العامة التي قد تحدد صرع الأرواح الخبيثة، وما جاءت هذه البنود إلا نتيجة للدراسة المتأنية المتبصرة لواقع المرضى، ولمن يعاني بمثل هذا النوع من المرض، وهذه الخلاصة لا تعني مطلقاً تنحية الأمراض النفسية جانباً، بل على العكس من ذلك تماماً، فلا بد من الاهتمام بكلا النوعين: الأمراض الروحية والأمراض النفسية حتى تتحقق المصلحة العامة للمسلمين.

ناهيك عن أمر مهم جداً لا بد من الإشارة إليه وهو أنه لا يجوز مطلقاً القياس من قبل المرضى وتحديد معاناتهم بناء على قراءة مثل تلك الأعراض، فلا بد من عرض الحالة المرضية أولاً على المعالج الحاذق المتمرس المتخصص في مثل هذا النوع من الأمراض، ليستطيع أن يقف على الداء ومن ثم يصف الدواء النافع بإذن الله تعالى، وإلا فلا بد من تحويل الحالة إلى الطبيب النفسي المسلم المتمرس الحاذق الذي يملك الخبرة والدراية لمعرفة المعاناة النفسية للمريض ومن ثم يتخذ الإجراءات الطبية الخاصة في المتابعة والعلاج.

الرقية الشرعية للتخلص من المس والصرع

التخلص من المس والصرع يكون بأمرين اثنين: **وقاية**، و**علاج**.

فأما **الوقاية** فتكون:

بقراءة الأوراد الشرعية من كتاب الله تعالى، وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقوة النفس وعدم الجريان وراء الوساوس والتخيلات التي لا حقيقة لها، فإن جريان الإنسان وراء الوساوس والأوهام يؤدي إلى أن تتعاظم هذه الأوهام والوساوس حتى تكون حقيقة.

وأما العلاج: فقد اعترف كبار الأطباء أن الأدوية الطبيعية لا تؤثر فيه، وعلاجه: بالدعاء والقراءة والموعظة.

ولذلك لا بد أن يبادر المسلم فوراً -بعد اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى- بالرقية الشرعية للعلاج والاستشفاء لما أصابه، والأصل في الرقية أن يقرأ الإنسان على نفسه وأهله ومحارمه، فهذا هو الأسلم والأتقى والأورع، وفي حالة الحاجة إلى المعالج المتمرس صاحب العلم الشرعي فلا تثريب إن شاء الله تعالى.

جملة من أذكار الصباح والمساء

"الله لا إله إلا هو الحي القيوم" (صحيح الترغيب 658).

"قل هو الله أحد"، "قل أعوذ برب الفلق"، "قل أعوذ برب الناس" ثلاث مرات حين تصبح وحين تمسي تكفيك في كل شيء. صحيح الترمذي.

ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم" ثلاث مرات فيضره شيء.(صحيح الترمذي)، وفي رواية أبي داود "لم يصبه فجأةُ بلاء".

"اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت" ثلاث مرات.(صحيح سنن).

"يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّهُ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين" (صحيح الترغيب 657).

"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" إذا قلتها حين تمسي فمت دخلت الجنة، أو كنت من أهل الجنة وإذا قلتها حين تصبح فمت من يومك فمثله. البخاري (أبوء : أي أقر وأعترف).

"اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم" (صحيح الترمذي)، (روعاتي: أي فزعاتي التي تخيفني أي ارفع عني كل خوف يقلقني ويزعجني).

"اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وامن روعتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي"، "اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور" وإذا أمسى فليقل "اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير" (صحيح الترمذي).

"أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد وملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين".

"وإذا أمسى فليقل: "أمسينا على فطرة الإسلام..". (صحيح الجامع).

من قال حين يصبح: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي وإذا أمسى حتى يصبح". صحيح سنن ابن ماجه.

قال صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه". البخاري.

كيف ندفع شر الشياطين ونحترز منهم

الرقية الشرعية الثابتة هي قراءة القرآن المجملة بعموم نصوصه، أو المفصلة بالآيات والسور الوارد فضلها في السنة المشرفة وآثار السلف الصالح، أو الأدعية والتعاويذ المأثورة.

لقد لجأ كثير من المعالجين بالرقية الشرعية إلى إضافة أمور كثيرة متعددة، ومن هذه الأمور ما له أصل في الشريعة أو مستند لبعض علماء الأمة الأجلاء، إلا أنه استخدم بطريقة خاطئة وغير صحيحة، ومن تلك الأمور تخصيص قراءة آيات معينة وبكيفيات مختلفة، أو الضرب الشديد والخنق، وحوار الجن والشياطين ونحو ذلك من أمور أخرى، ومنها ما ليس له أصل في الشريعة ولا يوجد له مستند قولي أو فعلي لعلماء الأمة، هذا كله دفع بعضهم إلى إنكار هذه التزايدات -وهذا حق- وأداه في مقابل ذلك إلى إنكار أصل المسألة بغير حق.

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: "الرقية التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي ما يكون بقوارع القرآن، وبما فيه ذكر لله تعالى على ألسن الأبرار من الخلق الطاهرة النفوس، وهو الطب الروحاني، وعليه كان معظم الأمر في الزمان المتقدم الصالح أهله، فلما عزّ وجود هذا الصنف من أبرار الخليقة مال الناس إلى الطب الجسماني، حيث لم يجدوا للطب الروحاني نجوعاً في الأسقام، لعدم المعاني التي كان يجمعها الرقاة، وما نهي عنه هو رقية العزّامين ومن يدعي تسخير الجن" (عمدة القاري 403/17).

ثم ليعلم أنه لا يوجد -بأي حال من الأحوال- أي تعارض بين الرقية الشرعية والطب العضوي والنفسي، ونحن مطالبون بالنسبة للعلاج والاستشفاء باتخاذ الأسباب الشرعية من ذكر ودعاء ورقية وقراءة قرآن ونحو ذلك، كما أننا مطالبون باتخاذ الأسباب الحسية من خلال مراجعة المستشفيات والمصحات والعيادات واستخدام الدواء اللازم مع الأخذ بعين الاعتبار أن الشفاء من الله سبحانه وتعالى وحده.

كيف نحصن أنفسنا من المس الشيطاني؟

أولا: المحافظة على الصلاة والالتزام بأمور الشرع.

ثانيا: المحافظة على الأذكار القرآنية والنبوية، ففيهما الوقاية والتحصين ضد الشيطان، فالشيطان وجنوده أقرب ممن هو بعيد عن ذكر الله تبارك وتعالى، قال تعالى: "وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ".

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله علية وسلم: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك بنوم طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان".

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان"، (صحيح أبي داوود 4249، صحيح الترمذي 2724).

قال المباركفوري وشمس الحق العظيم أبادي: (قوله "يعني إذا خرج من بيته" هذا قول الراوي وفي رواية أبي داوود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: "بسم الله" الخ يقال له: أي يناديه ملك يا عبد الله "كفيت" بصيغة المجهول، أي مهماتك، وفي رواية أبي داوود : هديت -طريق الحق- وكفيت -أي همك- "ووقيت" من الوقاية أي حفظت من شر أعدائك، و"تنحى عنه الشيطان" أي تبعد، زاد أبو داوود في روايته فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي، أي بإضلال رجل، قد هدي وكفي ووقي" أي ببركة هذه الكلمات فإنك لا تقدر عليه) (تحفة الأحوذي 2719) ، (عون المعبود، 29713).

ثالثا: الاستعاذة قبل دخول الخلاء (الحمام والمرحاض).

وذلك لأن أماكن النجاسات كالحمامات والمقابر تأوي إليها الشياطين وكان من هديه صلي الله عليه وسلم أنه كان قبل أن يدخل الخلاء يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث"، ووفي رواية: "بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" والخبث: ذكور الجن والخبائث: إناثهم.

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الحشوش محتضَرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل :أعوذ بالله من الخبث والخبائث".

رابعا: عدم الكلام أو الصراخ أو الغناء في الحمامات والمراحيض، ففي المسند عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا تغوَّط الرجلان، فليتوار كل واحد منهما عن صاحبه، ولا يتحدثان على طوفهما، فإن الله يمقت على ذلك" (صحيح الترغيب والترهيب 155، والصحيحة 3120).

(قال صاحب النهاية: "الطوف الحدث من الطعام، ومنه الحديث: نهى عن متحدثين على طوفهما أي عند الغائط).

فهذه الأماكن تسكنها الجن والشياطين، والصراخ والغناء في مثل هذه الأماكن يؤذي ساكنيها فتنتقم ممن يفعل ذلك، قال الإمام النووي رحمه الله: "الذكر والكلام مكروه حال قضاء الحاجة، سواء كان في الصحراء أو البنيان، وسواء في ذلك جميع الأذكار والكلام إلا كلام الضرورة..".

خامسا: البسملة

وهي أن تقول: (بسم الله الرحمن الرحيم) بالذات عند دخول الأماكن المهجورة والمظلمة والصحاري، وعند القفز من الأماكن المرتفعة وقبل إلقاء الماء الساخن في دورات المياه لأن هذا الماء قد يؤذي الجن فتنتقم من الإنس، وكذا عند إلقاء حجر أو شيء ثقيل على الأرض، وهذا أمر أدركه الرقاة من المس والصرع بالتجربة.

سادسا: التعوذ عند الجماع بما كان يتعوذ به النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فأنه إن قضي بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبداً".

قال ابن حجر: "أي لم يضره بمشاركة أبيه في جماع أمه، كما جاء عن مجاهد إن الذي يجامع ولا يسمي يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه وهذا أقرب الأجوبة" اهـ.

العدد 28 ـ 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

العدد 28 ـ 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

من تاريخ الحماية في المغرب

خطر الحماية القنصلية واستغلالها من طرف اليهود

إعداد إبراهيم بيدون
Brahim-assabil@hotmail.com

تعتبر مرحلة ما قبل فرض الحماية (1912م) في المغرب من الفترات التي عانى فيها المغاربة حكاما وشعبا ضغوطات كثيرة، وممارسات تعسفية على سيادة البلاد، كانت رهينة بأن يوقع سلطان المغرب السلطان عبد الحفيظ عقد الحماية، ويتنازل بعد ذلك عن السلطنة للمذلة والهوان الذي أحس به، وهو ملك دولة معركة الزلاقة ومعركة واد المخازن..

ومن تلك الممارسات التعسفية التي فرضت على المغرب الحماية القنصلية، فـ"كل المغاربة يتذكرون مشكل الحماية القنصلية (أو الشخصية) الذي أحدث شرخا في جسم المجتمع المغربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، مما جعل السلطان الحسن الأول يكاتب جميع الدول التي كان لها رعايا بالمغرب من أجل إعادة النظر فيها، لذلك عقد مؤتمر دولي لمناقشة قضية (الحمايات القنصلية بالمغرب)؛ وهو مؤتمر مدريد سنة 1880م، ونظرا لكون الحمايات كانت مفيدة لضرب اقتصاد البلاد وقيمه الروحية والعرقية فقد أقر المؤتمر الحمايات الشخصية وفرضها بشكل أكثر صرامة.

والحمايات القنصلية هي أن يهب الأجنبي المقيم بالمغرب كل امتيازاته للمغاربة الذين يعملون عنده، ومنها عدم دفع الضرائب، فأصبح المجتمع المغربي منقسما إلى قسمين: المحميين وغير المحميين.

وتاريخ المغرب يشهد على أن الأجانب لم يسمح لهم بالإقامة بالمدن والمراسي إلا بعد استعمال الدول الغربية القوة والسلاح، وتحقيق انتصارات في معارك شهيرة، منها معركة "إيسلي" وحرب تطوان، أو التهديد باستعمال القوة عندما هددت انجلترا المغرب بقصف العرائش وطنجة.

سلاطين المغرب لم يبيعوا المغرب بل أرغموا على توقيع معاهدات واتفاقيات أهم بنودها السماح للأوربيين بالإقامة في المغرب، وكان هذا الامتياز كاف لإضعاف البلاد والسيطرة عليها عسكريا" مقال: "مراكش تستغيث" لنور الدين ملاخ.

فرض الحماية القنصلية على المغرب

جاء في الجزء الخامس من سلسلة الوثائق التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية المغربية، ما يبين محاولات السلطانين محمد بن عبد الرحمن والحسن الأول إلغاء الحماية القنصلية أو ضبط شروطها، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، لأن الحماية القنصلية كانت تحمي مصالح الحكومات الأجنبية بالمغرب:

"وقد شعر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن -ولمَّا تمض إلا سنة واحدة على إمضاء الاتفاقية المحلية المبرمة بطنجة يوم 3 ربيع الأول عام 1280هـ/ 19 غشت 1863م بيْن وزير فرنسا المفوض "الميسيو بيكلار Beclard" وبين السيد محمد بن محمد بن إدريس العمراوي كاتب الدولة المغربي في الشؤون الخارجية، تلك الاتفاقية التي انخرطت فيها بقية الدول غداة يوم إمضائها أن خطر الحماية القنصلية لا يزداد إلا اتساعا، وأن أضرارها تمتد امتدادا وتنتشر انتشارا، فالولاة المغاربة من عمال وأمناء كانوا يبلغون السلطان ووزراءه باستمرار أخبار الممارسات التعسفية التي يرتكبها التجار الأجانب تحت غطاء من تأييد الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين، وتحيزهم للباطل الصراح رغم ما فيها من مس بسيادة الدولة المغربية ومصالح رعياها، حتى أن السلطان نفسه ذكر لوزير فرنسا المفوض أثناء حديث جرى بينهما في شهر نونبر سنة 1864م أن التعسفات والمخالفات التي تعاني منها مملكتي والتي تشكل بالنسبة إلي أخطارا لا أستطيع إخفاءها ولا التغاضي عنها -وكان يعني بذلك الحماية التي تعطى لرعاياه ضدا على نظامها الذي ضبطته المعاهدات-، إن هذه التعسفات والمخالفات تزداد وتتضاعف في كل يوم وهي تهدد سيادتي وتعرضها لشتى الأخطار والمحاذير.

وإذا تصفح المرء البريد اليومي الذي كان يرد على السلطان من ولاته، ولا سيما ولاة المدن الساحلية، وكذا الرسائل التي كان يجيب بها عن مكاتيبهم أدرك بسهولة أن جل ممثلي الدول الأجنبية -على اختلاف رتبهم- لم يكونوا مخلصين للاتفاقية التي وضع بعضهم على انخراط دولهم فيها إمضاءه، ولا جادين في تطبيقها والتقيد بنصوصها، بل كانوا هم الذين يوحون في الغالب بالمخالفات والتعسفات إلى تجارهم ثم يتولون الدفاع عنهم وتبرير تصرفاتهم، فأكثرهم كانوا يمارسون التجارة إما مباشرة وإما شراكة مع التجار، فمن المفيد لهم أن يبق الوضع على ما كان عليه، وأن يتسع خرقه حتى يستعصي على كل رتق، ومن المضر بمصالحهم الخصوصية ومصالح دولهم العاجلة والآجلة تطبيق أي إصلاح، ولا ننس اليهود الذين اشرأبَّت أعناقهم في كل مكان بالمغرب إلى الاحتماء بالأجانب تخلصا من سلطة الولاة وتملصا من القوانين والأحكام، فقد صاروا يظهرون من الجراءة على العمال والاستخفاف بمشاعر مواطنيهم المسلمين ما أحدثَ الفوضى وأضاع الحقوق، وعرقل تنفيذ الأحكام، وأزَّم العلاقات بين المغرب وبين الدول الأجنبية التي كانوا يجدون لدى يهودها سندا ودعما حتى في الحالات التي يكونون فيها هم الظالمين ولا يكون الأجنبي طرفا فيها، وما أكثرها، فصارت الاتفاقية الممضاة بسبب ذلك عديمة المفعول.

وحاول السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن حصر أخطار الحماية والتي تتمثل في المخالفات التي يرتكبها ممثلوها الدبلوماسيون والقنصليون وتجارها القيمون بالمغرب، بمنحهم الرعايا المغاربة صكوك حماية تتنافى مع نص اتفاقية (ابن ادريس- بيكلار)، فأرسل خاله القائد (أبَّا) محمد بن عبد الكريم الشرقي.. الذي قدم رسالة السلطان إلى "نابليون الثالث" وأجرى محادثات مع وزير الخارجية الفرنسية "دروين دو لويس" حول المشاكل التي أوفده السلطان لحلها مع الحكومة الفرنسية، لكنها باءت بالفشل..

ولما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن عمل ابنه ووريثه السلطان مولاي الحسن الأول على تطويق الحماية القنصلية بالعديد من الوسائل، كشمل اليهود بالعدل ورفض وصاية الأجانب عليهم لأنهم رعاياه وتحت ذمة الإسلام، وضبط المحميين.. ومنع القضاة والعدول من تحرير الرسوم وإجازة البيوع المتعلقة بالعقار للأجانب، والحد من جلب الخمر وتربية الخنزير.. ولكن ذلك كله لم يجد نفعا كبيرا أمام عناد الأجانب وكيدهم واحتيالهم ومكرهم، وأمام تهديد دولهم بإرسال أساطيلها إلى الشواطئ المغربية لمحاصرتها وضرب موانئها لإجبار الدولة المغربية على ترضية تجارها ومحمييها وإنصافهم بزعمها.. فأوفد الحاج محمد بن الطاهر الزبدي عام 1293هـ/1876م إلى فرنسا وبلجيكا وانجلترا وإيطاليا، فذهب إليها واجتمع بملوكها ورؤسائها ورجال حكوماتها، وفاوضهم في أمر الحماية، فلم يحصل على طائل.. ولكن أغلبيتهم أظهرت من سوء النية والتحايل ما جعل الوصول إلى حل يرضي الحكومة المغربية أمرا مستحيلا.."اهـ (سلسلة الوثائق ج5/5-9 بتصرف يسير).

استغلال اليهود الحماية القنصلية للضغط على المغرب

ومن الوثائق التي تبين استغلال اليهود لهذه الحماية وثيقة هي عبارة عن رسالة من عامل الصويرة عمارة بن عبد الصادق البخاري إلى الحاجب السلطاني موسى بن أحمد البخاري، تتعلق بطغيان ثلاثة مغاربة محتمين بإسبانيا من بينهم يهودي، جاء فيها: "**كما أن الثالث ترجمانهم، يقال له "سعدي اكوهن" فهو أشدهم تجبرا وجسارة، وهو الذي يقوي جانبهم، ويدخل في أسواق ليست له** (يتدخَّل فيما لا يعنيه من الأمور)، **وينسب ذلك للقونص، وفي كل وقت ليس لنا شغل سوى دعاويه**" (الوثيقة رقم:647، م.الوثائق ص:94.)

ودفاعا عن حق اليهود في الحماية القنصلية تتقدم الجمعية اليهودية الإنجليزية المرتبطة بالتحالف الإسرائيلي العالمي برسالة إلى "السيرج .دريموند هاي". وزير بريطانيا المقيم بطنجة من طرف الكاهن اليهودي "أ. لوي" جاء فيها: "**أيها السير العزيز: إنني لعلى يقين من أن اللجنة التنفيذية لهذه الجمعية لتقدر حق التقدير لطفكم وعطفكم بإعطائنا الفرصة لكي نعبر بشكل تام عن رغباتنا التي كانت موضوع الحديث الذي تبادلته معكم شفهيا.**

إن رئيس الجمعية الذي يعاني من وعكة خفيفة لم يعد إلى لندن بعد، مما أوجد صعوبات في برنامجنا، وحيث أنه ليس بمقدوري أن أدعو إلى عقد اجتماع خاص بسبب الأعياد اليهودية، فإننا سنفتقد الشرف في إيفاد وفد عنا في الوقت الذي حددتم.

ومع أولئك الذين يهتمون بمصلحة إخوانهم اليهود اهتماما قلبيا سيأسفون لعدم تمكنهم من عرض رغباتهم عليكم، فإنهم مقتنعون بأنكم -كما هو الحال دائما- ستمنحون أعظم الاهتمام للدعاوي التي قد يقدمونها بخصوص اليهود المقيمين بالأراضي المغربية.

مع جزيل شكري على مذكرتكم الودية".(الوثائق 91-92-693، م.الوثائق ص:354).

ومن خلال هذه الوثائق نعلم كيف كانت تحتضن الدول الأوربية اليهود وتسهر على خدمة مصالحهم، وكيف كانوا يتخلون عن ولائهم لدولتهم من أجل التعاون مع المستعمر الذي خرب البلاد واستغلها أبشع استغلال، ويأتون اليوم ويدعوننا للتعايش والسلام!

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نونبر 2007

الملتقى الدولي الخامس للأدب الإسلامي، تحت شعار : (الأدب الإسلامي للرواية)

عبد المجيد آيت عبو

قام المجلس الإقليمي بالمغرب التابع لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بتنظيم الملتقى الدولي الخامس للأدب الإسلامي تحت شعار: نحو منهج إسلامي للرواية، بالتعاون مع كلية اللغة العربية بمراكش التابعة لجامعة القرويين بفاس، وذلك أيام 13-14-15 شوال 1428هـ الموافق لـ25-26-27: أكتوبر 2007م بكلية اللغة العربية. وهذا الملتقى يحمل اسم الأستاذ والأديب والباحث أحمد الشرقاوي إقبال رحمه الله.

وقد شارك فيه ما يقرب من أربعين باحثا، وفدوا من باكستان والهند والمملكة العربية السعودية والعراق والأردن ومصر وسوريا، بالإضافة إلى مجموعة من الباحثين من مختلف الجامعات المغربية. وعرف الملتقى إقبالا متميزا من المثقفين والباحثين والطلبة وعامة المهتمين.

وافتتحت أنشطة اليوم الأول من أيام الملتقى، وهو يوم الخميس 25 أكتوبر 2007 بتلاوة قرآنية، وبكلمات افتتاحية لكل من رئيس جامعة القرويين، وعميد كلية اللغة العربية، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالمغرب.

ثم تناولت الجلستين الثانية والثالثة موضوعا بعنوان: "من قضايا الرواية الإسلامية"، شارك فيه: د.عبد القدوس أبو صالح رئيس الرابطة، ووليد قصاب، وأحمد السعدني، ومحمد صالح الشطي، ومحمد ثناء الله الندوي وغيرهم، ومن بين البحوث التي تناولتها الجلستان: "موقف الأدب الإسلامي من الجنس في الرواية المعاصرة"، أعطى فيه د. عبد القدوس أبو صالح لمحة عن موقف الإسلام من الجنس، ثم تحدث عن موقف الآداب العالمية والأدب العربي منه، ثم انتقل إلى ذكر بعض الروايات التي تبرز الموقف من الجنس في الرواية الإسلامية، وختم بحثه بعرض معالم التنظير في العرض.

وكانت مداخلة د. محمد صالح الشطي بعنوان: "تقنيات الشكل في الرواية الإسلامية"، عمد فيه إلى بيان مفهوم التقنيات بوصفها الوسائل الفنية المتبعة في تشكيل العمل الروائي، وأشار إلى أن الشكل يعني البناء الكلي بوصفه أنموذجا متكاملا له قوانينه الخاصة، وأن الرواية الإسلامية هي ذلك العمل الروائي الذي اكتملت سماته الجمالية باعتباره جنسا أدبيا متعارفا عليه، ويحمل رؤية إسلامية الطابع. وألمح إلى أن الرواية الإسلامية استلهمت التاريخ واستقت مادتها منه، ولكنها تميزت باختيارها للمواقف والشخصيات الإسلامية من التاريخ الإسلامي، وركزت على الجانب الإيجابي بخلاف غيرها من الأعمال الروائية الأخرى التي استقت مادتها من التاريخ الفرعوني، أو من تاريخ غير المسلمين.

أما الجلسة الثالثة فكان عنوانها: "الرواية والمنهج"، ألقى فيها د.سعيد ساجد الكرواني بحثا بعنوان: "منهج الرواية الإسلامية بين التأصيل والتأسيس"، تحدث فيه عن الرواية والأجناس الفنية، وضرورة سلامة اللغة والشرط الجمالي، وأهمية الاستفادة من القصص القرآني والحديثي والتاريخ والواقع. وألقى د.مسلك ميمون بحثا بعنوان: "المنهج لرواية في طور التكوين"، وقد قام بحثه على توضيح الخلط القائم بين المنهج والمذهب، ثم كيفية التعامل مع المنهج في نطاق الإبداع الإسلامي، وبخاصة ما يتعلق بالرواية. وأنهى عرضه بالدعوة إلى تشجيع الإبداع الروائي الإسلامي حتى يتم استخلاص منهج بناء في التحليل والنقد.

ومن البحوث التي تناولتها جلسات اليوم الثاني من الملتقى؛ يوم الجمعة 26 أكتوبر 2007 بحث د. بن عيسى أحمد بويوزان، الذي عنونه بـ: "الفن والأخلاق في الرواية الإسلامية"، والذي تناول فيه علاقة الفن بالأخلاق في الآداب العالمية عامة، وفي الأدب العربي خاصة، وفي الأدب الإسلامي بنحو أخص، خصوصا وأن الأدب الإسلامي يسعى منذ بداياته إلى إعادة الاعتبار للأخلاق في الإبداع الأدبي بكل أنواعه وفنونه، وما دامت الرواية الإسلامية تشكل شِقًّا مهما من الأدب الإسلامي، فإن الروائيين الإسلاميين سعوا جاهدين إلى إبراز الأخلاق النبيلة والقيم الإنسانية الرفيعة فيما يكتبونه، والأدباء والروائيون الإسلاميون سعوا أيضا في إبداعهم إلى إبراز قيمة الأخلاق في تهذيب ذوق المجتمع، ودورها المحوري في السمو بالإنسان إلى المستوى الذي كرمه الله عز وجل به.

وتناولت بقية الجلسات تحليل بعض الروايات الإسلامية كروايات الدكتور نجيب الكيلاني وغيره، كما تمت دراسة الرواية خارج العالم العربي، وأنها تمثل لبنة هامة في آداب الشعوب الإسلامية.

أما جلسات اليوم الثالث يوم السبت 26 أكتوبر فكانت بحوثها ومداخلاتها تدندن حول موضوع: "الرواية والتاريخ والإعلام"، ومن بين تلك البحوث بحث د.أحمد زلط الذي سماه: "استدعاء التاريخ في الرواية الإسلامية"، فأشار فيه إلى ضرورة استدعاء التاريخ وتوظيفه في طرائق السرد والرواية، ومن البحوث: "التوظيف الإعلامي للرواية الإسلامية في الإعلام المرئي"، الذي تقدم به د. أحمد حسن محمد أحمد، وظَّف فيه الارتباط الوثيق بين الإنتاج الأدبي والإنتاج الإعلامي، معتبرا الأدب رافدا أساسا لبرامج الإعلام بمختلف أنواعها. وتناولت بحوث أخرى تطبيقا على بعض الروايات.

وخُصِّصت آخر جلسة من جلسات هذا الملتقى بتكريم الأديب والباحث الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال المتوفى سنة2002/1423 وتتضمن هذه الجلسة خمس مداخلات حول شخصية وآثار المُحْتَفَى به، الأستاذ الأديب أحمد الشرقاوي إقبال، وهذه البحوث هي:

1- "الشرقاوي إقبال الأديب اللغوي"، للأستاذ أحمد متفكر.

2- "مخطوطات السيوطي في خزائن العالم"، للأستاذ د.أحمد شوقي بنبين، أشاد فيه بكتاب الشرقاوي الذي سماه: "مكتبة الجلال السيوطي".

3- "قراءة في كتاب: معجم المعاجم"، للأستاذ د.عباس ارحيلة.

4- "أحمد الشرقاوي إقبال ذاكرة المستقبل"، للأستاذ د.محمد أيت الفران.

5 – "شهادة في حق الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال"، للأستاذ د.أحمد شحلان.

وتخلل هذا الملتقى قراءات شعرية ألقاها مجموعة من الشعراء المغارب والأجانب. كما أغنى الأساتذة والباحثون جلسات الملتقى بالكثير من المناقشات والتعقيبات والتصحيحات والملاحظات والإضافات والاستفسارات التي يوجهونها إلى أعضاء الجلسة في وقت لا يتجاوز الدقيقتين في الغالب.

وقد استغلت الرابطة هذه المناسبة في التعريف بمنهجها وأهدافها وآثارها، وذلك عن طريق عرض أعداد من مجلاتها وإصداراتها، وبالأخص مجلتا المشكاة والأدب الإسلامي اللتان تصدران باللغة العربية، كما قامت بتوزيع نسخ كثيرة من رسالة تعَرِّف برابطة الأدب الإسلامي العالمية، وتبين تاريخ نشأتها، ومكاتبها، وأهدافها، ومبادئها، وشروط العضوية فيها، وأهم الأعمال التي حققتها.

وللإشارة فإن هذا الملتقى تنظمه الرابطة على رأس كل ثلاث سنوات؛ فكان الملتقى الأول عام 1994 بمدينة وجدة في موضوع: "رسالة الأدب والشهود الحضاري"، والملتقى الثاني نظمته الرابطة سنة 1998 بالدار البيضاء، وكان موضوعه: "النقد الأدبي بين التأصيل والتجريب"، أما الملتقى الثالث فنظمته سنة 2001 بأكادير في موضوع: "النقد التطبيقي بين النص والمنهج"، والملتقى الرابع كان سنة 2004 بمدينة فاس، وموضوعه: "أدب الحركة الإصلاحية". وفي هذه السنة نظمت ملتقاها الخامس في موضوع: "نحو منهج إسلامي للرواية".

من الأخطاء الشائعة

جرت عادة الكثير من الكتاب والخطباء والباحثين أن يستعملوا كلمة (بسيط) و(بسيطة) وما تصرف منها في التعبير عن الشيء القليل، أو النزر اليسير، أو السهل الميسر؛ فيقولون: (هذه مسألة بسيطة) أي سهلة ميسرة، و(هذا كتاب مبسط) أي مختصر، و(تبسيط قواعد كذا..) أي اختصارها وتقريبها، و(أقول بكل بساطة)، أي: بكل اختصار وإيجاز، و(رجل بسيط)، أي: رجل بدائي التفكير، أو فيه غفلة، أو لا تكلف فيه. وكثر هذا الاستعمال وشاع حتى صار من قبيل المتعارف عليه المسلَّمِ به.

وعند الرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن استعمالات هذا الفعل كلها تدور حول الطول والسعة والنشر والزيادة والامتداد، ولم يرد استعمالها بمعنى القلة والندرة، أو التقليل والاختصار.

قال الفيروز آبادي: بَسَطَهُ: نشره، وبَسَطَ يده: مَدَّهَا، والمكانُ القومَ: وَسعَهم، واللهُ فلاناً، واللهُ يَبْسُطُ الرزقَ: يُوسِّعُه، والبِسَاطُ: ما بُسِطَ، والبَسِيطُ: المنبسط بلسانه، وأُذُن بَسْطَاء: عظيمة عريضة، وانْبَسَطَ النهارُ: امتدَّ وطال، والبَسْطَةُ: الفضيلة، والبَسْطَة في العلم: التوسُّع، وفي الجسم: الطول والكمال، والمَبْسَطُ: المُتَّسَعُ.

قال الراغب في المفردات: بسط الشيء: نشره وتوسيعه فتارة يتصور منه الأمران وتارة يتصور منه أحدهما ويقال: بسط الثوب: نشره ومنه: البساط وذلك اسم لكل مبسوط، قال الله تعالى: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا"، والبساط: الأرض المتسعة.. وقال تعالى: "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ" أي: لو وسَّعه "وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ" أي: سعة.. وبسط اليد: مدها. قال عز وجل: "وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ".

وقد وردت مشتقات هذه الكلمة في خمس وعشرين آية من القرآن الكريم وليس فيها قط معنى قليل، أو هيِّن، أو سهل يسير.

وفي اللسان: "والبَسيطة الأرض العَريضة الواسعة، وتبَسَّط في البلاد أي سار فيها طولاً وعَرْضاً، ويقال مكان بَساط وبسِيط". وفيه: "فرَشَ لي فلان فِراشاً لا يَبْسُطُني، إذا ضاقَ عنك، وهذا فِراشٌ يبسُطني إذا كان سابِغاً، وهذا فراش يبسُطك إذا كان واسعاً، وهذا بِساطٌ يبسُطك أي يَسَعُك". وفيه أيضا: "وانبسط النهار وغيره امتدّ وطال".

ومما يعضد هذا أن الفقهاء قديما كانوا يقولون: "قد بسطنا هذه المسألة في باب كذا"، "سيأتي بسط هذه المسألة في موضعها". ومنه كتاب "المبسوط" للسرخسي، وهو كتاب طويل موسع في الفقه الحنفي.

فآمل أن تكون هذه الإشارة منبهة لكل كاتب وخطيب ومحاضر، ليحترز من هذا الخطأ وغيره من الأخطاء الكثيرة الشائعة.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

الإلحـــاد

الإلحاد مذهب فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة.

التعريف

الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدميَّة أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى.

فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية الخادعة.

التأسيس وأبرز الشخصيات

الإلحاد بدعة جديدة لم توجد في القديم إلا في النادر في بعض الأمم والأفراد.

يعد أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية.

الحركة الصهيونية أرادت نشر الإلحاد في الأرض فنشرت العلمانية لإفساد أمم الأرض بالإلحاد والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها، وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم.

نشر اليهود نظريات "ماركس" في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظريات "فرويد" في علم النفس ونظرية "دارون" في أصل الأنواع ونظريات "دور كهايم" في علم الاجتماع، وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم.

أما انتشار الحركات الإلحادية بين المسلمين في الوقت الحاضر، فقد بدأت بعد سقوط الخلافة الإسلامية.

صدر كتاب في تركيا عنوانه: "مصطفى كمال" للكاتب: قابيل آدم، يتضمن مطاعن قبيحة في الشرائع وبخاصة الدين الإسلامي. وفيه دعوة صريحة للإلحاد بالدين وإشادة بالعقلية الأوروبية.

إسماعيل أحمد أدهم: حاول نشر الإلحاد في مصر، وألف رسالة بعنوان لماذا أنا ملحد؟ وطبعها بمطبعة التعاون بالإسكندرية حوالي سنة 1926م.

إسماعيل مظهر: أصدر في سنة 1928م مجلة العصور في مصر، وكانت قبل توبته تدعو للإلحاد والطعن في العرب والعروبة طعناً قبيحاً، معيداً تاريخ الشعوبية، ومتهماً العقلية العربية بالجمود والانحطاط، ومشيداً بأمجاد بني إسرائيل ونشاطهم وتفوقهم واجتهادهم.

أسست في مصر سنة 1928م جماعة لنشر الإلحاد تحت شعار الأدب واتخذت دار العصور مقراً لها واسمها رابطة الأدب الجديد وكان أمين سرها كامل كيلاني.. وقد تاب إلى الله بعد ذلك.

ومن أعلام الإلحاد في العالم:

أتباع الشيوعية: ويتقدمهم "كارل ماركس" 1883/1818 اليهودي الألماني، و"إنجلز" 1820/ 1895م عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي الذي التقى بـ"ماركس" في إنجلترا وأصدرا سوياً "المانيفستو" أو البيان الشيوعي سنة 1848م.

أتباع الوجودية

ويتقدمهم:

"جان بول سارتر".

و"سيمون دوبرفوار".

و"البير كامي".

وأتباع الداروينية.

ومن الفلاسفة والأدباء:

"نيتشه" فيلسوف ألماني.

"برتراند راسل" 1970/1872م فيلسوف إنكليزي.

"هيجل" 1831/1770م فيلسوف ألماني قامت فلسفته على دراسة التاريخ.

"هربرت سبنسر" 1903/1820م إنكليزي كتب في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق.

"فولتير" 1778/1694م أديب فرنسي.

في سنة 1930م ألف إسماعيل مظهر "حزب الفلاح" ليكون منبراً للشيوعية والاشتراكية، وقد تاب إسماعيل إلى الله بعد أن تعدى مرحلة الشباب وأصبح يكتب عن مزايا الإسلام.

ومن الشعراء الملاحدة الذين كانوا ينشرون في مجلة العصور: الشاعر عبد اللطيف ثابت الذي كان يشكك في الشرائع في شعره، والشاعر الزهاوي يعد عميد الشعراء المشككين في عصره.

الأفكار والمعتقدات

- إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.
- إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت.
- إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.
- النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.
- إنكار معجزات الأنبياء لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون. ومن العجب أن الملحدين الماديين يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال.
- عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.
- ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً.
- المعرفة الدينية في رأي الملاحدة تختلف اختلافاً جذريًّا وكليًّا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي!!
- الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.
- الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.
- نظريات "ماركس" في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظرية "فرويد" في علم النفس ونظرية "دارون" في أصل الأنواع ونظرية "دور كهايم" في علم الاجتماع من أهم أسس الإلحاد في العالم.. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية ولا صلة لها بالعلم.

الجذور الفكرية والعقائدية

نشأ الإلحاد الحديث مع العقلانية والشيوعية والوجودية.

وقد نشر اليهود الإلحاد في الأرض، مستغلين حماقات الكنيسة ومحاربتها للعلم، فجاءوا بثورة العلم ضد الكنيسة، وبالثورة الفرنسية والداروينية والفرويدية، وبهذه الدعوات الهدامة للدين والأخلاق تفشى الإلحاد في الغرب، والهدف الشرير لليهودية العالمية الآن هو إزالة كل دين على الأرض ليبقى اليهود وحدهم أصحاب الدين!!

الانتشار وأماكن النفوذ

انتشر الإلحاد أولاً في أوروبا، وانتقل بعد ذلك إلى أمريكا.. وبقاع من العالم.

وعندما حكمت الشيوعية في ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي قبل انهياره وتفككه، فرضت الإلحاد فرضاً على شعوبه.. وأنشأت له مدارس وجمعيات.

وحاولت الشيوعية نشره في شتى أنحاء العالم عن طريق أحزابها، وإن سقوط الشيوعية في الوقت الحاضر ينبئ عن قرب سقوط الإلحاد بإذن الله تعالى.

يوجد الآن في الهند جمعية تسمى جمعية النشر الإلحادية، وهي حديثة التكوين وتركز نشاطها في المناطق الإسلامية، ويرأسها "جوزيف إيدا مارك"، وكان مسيحيًّا من خطباء التنصير، ومعلماً في إحدى مدارس الأحد، وعضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وقد ألف في عام 1953م كتاباً يدعى: "إنما عيسى بشر" فغضبت عليه الكنيسة وطردته فتزوج بامرأة هندوكية وبدأ نشاطه الإلحادي، وأصدر مجلة إلحادية باسم "إيسكرا" أي شرارة النار. ولما توقفت عمل مراسلاً لمجلة "كيرالا شبدم" أي صوت "كيرالا" الأسبوعية. وقد نال جائزة الإلحاد العالمية عام 1978م ويعتبر أول من نالها في آسيا.

يتضح مما سبق

أن الإلحاد مذهب فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة، ويرى أن المادة أزلية أبدية، وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء فذلك مما لا يقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لا يعترفون أيضاً بأية مفاهيم أخلاقية ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح، ولذا فإن التاريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات، وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً، والإنسان مجرد مادة تطبق عليه كافة القوانين الطبيعية وكل ذلك مما ينبغي أن يحذره الشاب المسلم عندما يطالع أفكار هذا المذهب الخبيث.

العدد 28 . 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007

حكم ومواعظ

من أراد..

من أراد زادا فالتقوى تكفيه، ومن أراد عزا فالإسلام يكفيه، ومن أراد عدلا فحكم الله يكفيه، ومن أراد أنيسا فذكر الله يكفيه، ومن أراد جليسا فالقرآن يكفيه، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه، ومن أراد غنى فالقناعة تكفيه، ومن أراد زينة فالعلم يكفيه، ومن أراد جمالا فالأخلاق تكفيه، ومن أراد الراحة فالآخرة تكفيه، ومن لم يكفه كل هذا فالنار تكفيه.

السعادة فيها ترك ما فيها

النفسُ تبكي على الدنيا وقد علمت
أن السعادة فيها تركُ ما فيها
لا دارٌ للمرءِ بعد الموت يسكُنُها
إلا التي كانَ قبل الموتِ بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنُه
وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعُها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

قال الرافعي رحمه الله تعالى

"إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة.. رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع وحقائق الهموم تصغر وتضيق.. وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيق لا هي".

إنما المكارم

إنما المكارم أخلاقٌ مطهرة
الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والشكر ثامنها
والصبر تاسعها واللين باقيها

الفقر

قال ابن الأحنف:

يمشي الفقير وكل شيء ضده
والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب
ويرى العداوة لا ير أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوما فقيرا عابرا
نبحت عليه وكشرت أنيابها

أربعة تؤدى إلى أربعة

الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.

– من عرف شأنه، وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه، وكف عن عرض أخيه، دامت سلامته، وقلت ندامته.

– لا يغرنك صحة نفسك، وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة.

الدراهم

إن الدراهم في الأماكن كلها
تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالا

سطور مهمة بحياتك

الحب والوفاء وجهان لعملة نادرة اسمها الصديق.

من شغل بعيوب الناس كثرة عيوبه وهو لا يدري.

الصدق والصراحة خط مستقيم بين نقطتين هما أنا والعالم.

من كان قلبه يحمل الحب الحقيقي والصدق مع النفس لا يُلق بين يدي المخادعين.

الكلمة الطيبة تغلق باب الكره وتفتح باب الود.

أيام الدهر ثلاثة

- يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهله.
- صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه، من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي.
- الثقة بالله أزكى أمل، والتوكل عليه أوفى عمل.
- إياك والحسد فإنه يفسد الدين، ويضعف اليقين، ويذهب المروءة.

دع الصبا

دع الصبا فعداك زمانه
وازهد فعمرك مر منه الأطيب
ذهب الشباب فماله من عودة
وأتى المشيب فأين منه المهرب

أضف إلى معلوماتك

ما هي العادات التي يجب اتباعها للوقاية من قرحة المعدة؟

- ابتعد عن التدخين
- لاحظ الأدوية التي تستعملها: بعض الأدوية قد تساعد على حدوث قرحة المعدة و خاصة المسكنات.
- يساعد تقليل الوزن على تخفيف أعراض القرحة.
- لاحظ أكلك: تجنب الأكلات التي تهيج القرحة، مثل: القهوة، الشوكولاته، الموالح وعصير الطماطم، النعناع، الأكلات عالية الدهن، لا تصدق المقولة القائلة -أن المشروبات الغازية تعالج القرحة- فالعكس هو الصحيح.
- نظم وجباتك بحيث تأكل وجبات خفيفة وكثيرة أفضل من ثلاثة وجبات دسمة. لا تأكل في وقت متأخر من الليل، لا تنام مباشرة بعد الأكل.
- إن الرياضة الخفيفة مفيدة جداً، ولكن لا تمارس الرياضة بعد الأكل مباشرة.
- قلل من التوتر الذي تتعرض له.

تسلية وترويح

لص فقيه مناظر

قال أحمد بن المعدل البصري قال: كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاءه بعض جلسائه فقال: أعجوبة، قال ما هي؟ قال: خرجت إلى حائطي بالغابة، فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت -بيوت المدينة- تعرض لي رجل، فقال اخلع ثيابك فقلت وما يدعوني إلى خلع ثيابي، قال أنا أولى بها منك، قلت: ومن أين؟ قال: لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكسو، قلت: فالمواساة، قال: كلا قد لبستها برهة وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها، قلت فتعريني وتبدي عورتي، قال لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً، قلت فيلقاني الناس فيرون عورتي؟ قال لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت أراك ظريفاً فدعني حتى أمضي إلى حائط وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك، قال كلا كلا أردت أن توجه إلى أربعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيحبسني ويمزق جلدي ويطرح في رجلي القيد، قلت: كلا أحلف لك إيماناً أني أوفى لك بما وعدتك ولا أسوءك، قال: كلا إنا روينا عن مالك أنه قال: لا تلزم الأيمان التي يحلف بها اللصوص، قلت: فأحلف أني لا أحتال في أيماني هذه، قال: هذه يمين مركبة على أيمان اللصوص، قلت: فدع المناظرة بيننا فو الله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق ثم رفع رأسه وقال: تدري فيم فكرت؟ قلت: لا، قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا فلم أجد لصاً أخذ نسيئة وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون على وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة اخلع ثيابك، قال فخلعها ودفعها إليه فأخذها وانصرف.

الغضبان والحجاج

دخل الغضبان على الحجاج بعدما قال لعدوه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، تغدَّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك فقال له ما جواب السلام عليك؟ فقال وعليك السلام، ثم فطن الحجاج وقال: قاتلك الله يا غضبان، أخذت لنفسك أمانا بردي عليك، أما والله لولا الوفاء والكرم لما شربت الماء البارد بعد ساعتك هذه، فانظر إلى فائدة العلم في هذه الصورة فلله درُّ العلم ومن به تردى، وتعساً للجهل ومن في أوديته تردى.

حنكة أبي حنيفة

دخل اللصوص على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يعلم أحداً، فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال: أحضر لي إمام مسجدك وأهل محلتك فأحضرهم إياه، فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا نعم: قال: فاجمعوا كلاً منهم وأدخلوهم في دار، ثم أخرجوهم واحداً واحداً، وقولوا: أهذا لصك؟ فإن كان ليس بلصه قال: لا، وإن كان لصه فليسكت، وإذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة، فرد الله عليه جميع ما سرق منه.

جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى

"الرضا جنة الدنيا ومستراح العابدين"

الرضا عن الله تعالى من أعلى مقامات اليقين، وقد قال الله تعالى: "هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" فمن أحسَن الرضا عن الله سبحانه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا، وهذا غاية الجزاء ونهاية العطاء، وهو قوله تعالى: "رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ"، وقد رفع الله الرضا على جنات عدن، وهي من أعلى الجنان كما فضل الذكر على الصلاة فقال تعالى: "وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ".

حقيقة الرضا بقدر الله وحكمه ومنزلته

قال ابن القيم رحمه الله: "قد أجمع العلماء على أنه (أي الرضا) مستحب مؤكد استحبابه واختلفوا في وجوبه على قولين.

وسمعت شيخ الإسلام رحمه الله يحكيهما على قولين لأصحاب أحمد وكان يذهب إلى القول باستحبابه.

قال: ولم يجيء الأمر به كما جاء الأمر بالصبر وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم" المدارج.

ومنزلة الرضا أعلى من منزلة الصبر فإن الصبر حَبسُ النفس وكفها على ما تكره مع وجود منازعة فيها، أما الرضا فحقيقته كما قال السعدي في شرحه على منظومة السير إلى الله: "تلقي أحكام الله الأمْرِيَّة الدينية وأحكامه الكونيَّة القدريَّة بانشراح صَدْرٍ وسرور نفس، لا على وجه التكرُّه والتلمُّظ".

وقيل: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان.

وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وجماع ذلك: "الاختيار لحكم الله وأمره وتلقيه بالسكون والطمأنينة".

اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط، فقال الثوري: قد كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم، فأما اليوم فوددت أني مت فقال له يوسف ولم؟ قال: لما أتخوف من الفتنة، فقال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء، فقال الثوري: ولم تكره الموت؟ قال: لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا، فقيل لوهيب: أي شيء تقول أنت؟ فقال: أنا لا أختار شيئا، أحبُّ ذلك إليَّ أحبُّه إلى الله، قال: فقبَّل الثوري ما بين عينيه وقال: روحانيَّة وربِّ الكعبة. انظر المدارج، والوعظ المطلوب للقاسمي.

وقال هذا الأخير مبيِّنا معنى قول سفيان روحانية: "يعني: مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان وأولوا المحبة والرضوان".

وكما مر معنا فمقام الرضا متفق على استحبابه مختلف في وجوبه، بخلاف مقام الصبر فهو واجب اتفاقا، مع التنبيه على أن الرضا المتكلم عنه غير الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، فهذا واجب اتفاقا.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه: "أما بعد فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر".

وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: "متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما



يعامل به ربه فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت".

واعلم أن حقيقة الرضا عند نزول حكم الله وأمره أما قبله فهو عزم على الرضا لا غير.

سُئل أحد السلف عن قوله صلى الله عليه وسلم: "أسألك الرضا بعد القضاء" فقال: "لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا".

ثمرة الرضا الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى

قال القاسمي رحمه الله: "فمن الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وألا يشكو ربَّه إلى عبد ولا يتبرَّم بفعله وقضائه" الوعظ المطلوب.

وقال السعدي رحمه الله في منظومة السير إلى الله وهو يصف السائرين إليه تعالى:

نزلوا بمنزلة الرضــا فهم بها
قد أصبحوا في جنــة وأمــان

وقال رحمه الله في شرح ذلك: "وبالرضا تضمحل تلك المنازعة ويرضى عن الله رضا مطمئن منشرح الصدر، بل ربما تلذذ بالبلاء كتلذذ غيره بالرخاء، وإذا نزل العبد بهذه المنزلة طابت حياته وقرت عينه ولهذا سمي الرضا: جنة الدنيا ومستراح العابدين، ومن رضي عن الله رضي الله عنه" اهـ.

وها هو الإمام ابن القيم رحمه الله يحكي لنا صورة حية للرضا بأمر الله وحكمه تجلت في حالة شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وعلم الله، ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، ففتح لهم أبوابها في دار العلم فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها.." الوابل الصيب.

ليس من شرط الرضا عدم الشعور بالألم

ليس من شرط الرضا ألا يحس بالألم والمكاره، بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه، ولهذا أشكل على بعض الناس الرضا بالمكروه وطعنوا فيه وقالوا: ممتنع على الطبيعة وإنما هو الصبر وإلا فكيف يجتمع الرضا والكراهة؟ وهما ضدان.

والصواب كما قال ابن القيم في المدارج: "أنه لا تناقض بينهما وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضا كالمريض بشرب الدواء الكريه، ورضا الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ، ورضا المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها".

ومما يذكر في هذا المقام أنه لما مات ابن للفضيل رحمه الله رئي في الجنازة ضاحكا، فقيل له أتضحك وقد مات ابنك؟ فقال: إن الله قضا بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

قال ابن القيم معلقا كما في المدارج: "فأنكرت طائفة هذه المقالة على الفضيل وقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى يوم مات ابنه وأخبر أن القلب يحزن والعين تدمع، وهو في أعلى مقامات الرضا فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟

والتحقيق: أن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتسع لتكميل جميع المراتب من الرضا بالله، والبكاء رحمة للصبي، فكان له مقام الرضا ومقام الرحمة ورقة القلب، والفضيل لم يتسع قلبه لمقام الرضا ومقام الرحمة فلم يجتمع له الأمران..".

قال الربيع بن أنس: "علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لا تحب شيئا إلا أكثرت من ذكره، وعلامة الدين الإخلاص لله في السرِّ والعلانية، وعلامة الشكر الرضا بقدر الله والتسليم لقضائه".

العدد 28. 20 شوال 1428 الموافق لـ 01 نوفمبر 2007